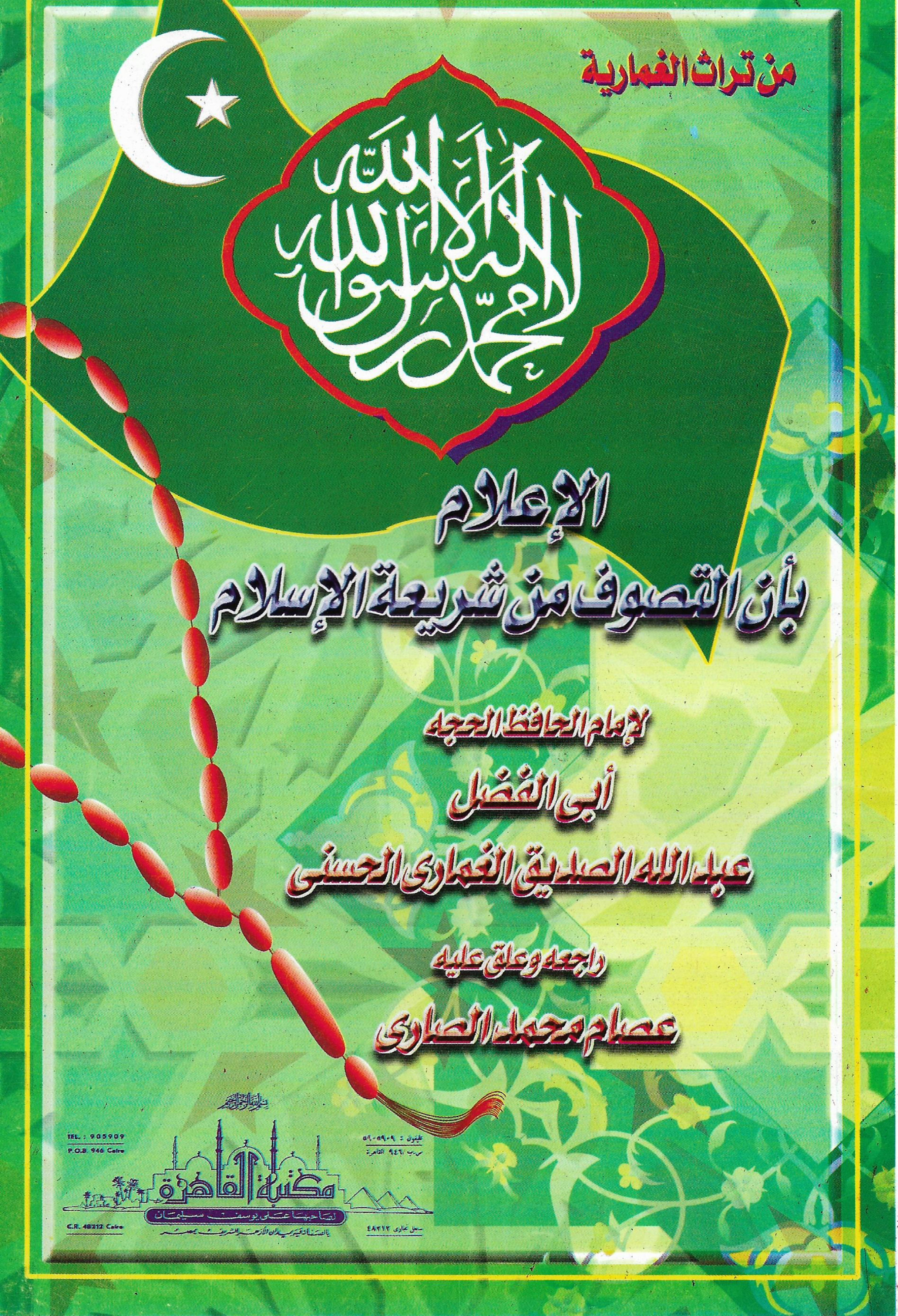


من تراث الغمارية
لا إله إلا الله محمد رسول الله
الإعلام
بأن التصوف من شريعة الإسلام
للإمام الحافظ الحجة
أبي الفضل
عبد الله الصديق الغماري الحسنى
راجعه وعلق عليه
عصام محمد الصاري
بسم الله الرحمن الرحيم
TEL. : 905909
P.O.B. 946 Cairo
تليفون : ٩٠٥٩٠٩
ص.ب ٩٤٦/ القاهرة
مكتبة القاهرة
لصاحبها علي يوسف سليمان
C.R. 48212 Cairo

من تراث الغمارية

الإعـــــلام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

للإمام الحافظ الحجة

أبى الفضل

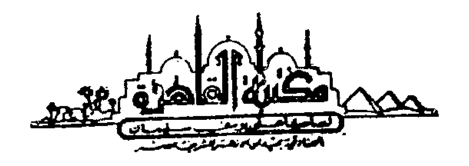
عبد الله الصديق الغمارى الحسنى

راجعه وعلق عليه

عصام محمد الصارى

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م





رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٨ / ٨٤٣٠
الترقيم الدولى I.S.B.N
٩٧٧-٥٤٣٧-٤٧-٤

لصاحبها: علي يوسف سليمان وأولاده
١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠
جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢
رمز بريدى ١١٥١١ ـ الأزهر ـ القاهرة
Alqahirah٥٥@yahoo.com - Tarekali٥٩٩٢@yahoo.com
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين على ما توالى من النعم، والشكر له على ما خص منها وعم، والصلاة والسلام على النبى الأعظم، الذى رسم لنا الطريق الأقوم، وعلى آله وصحبه وأمته أشرف الأمم.

أما بعد: فهذه رسالة لطيفة، تناولت موضوعاً هو من أهم مواضيع الساعة، الا وهو علم التصوف أو السلوك والأخلاق، كتبها الفقيه الأصولى الضليع، الشيخ/ عبدالله بن الصديق الغمارى - رحمه الله تعالى - وسماها «الإعلام، بأن التصوف من شريعة الإسلام» وكان القصد منها الدفاع عن هذا العلم وأهله، والرد على من زعم أن التصوف دخيل على الإسلام.

والحقيقة التى لا جدال فيها هى أن التصوف جزء من الإسلام يصوره لنا قوله ﷺ حين يقول: «الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهى القلب» محط العناية والأنظار، عند أهل التصوف الاخيار.

وأما قوله ﷺ «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فمقام عظيم فى الدين، يناله أهل الإيمان واليقين، وهو شامل لمقامين عظيمين، هما المراقبة والمشاهدة، جعلنا الله تعالى ممن شاهده.

فالصوفى فى الحقيقة لا يفارق السلف فى معتقده، ولا يفارق الفقهاء فى معتمده، لأن العقائد راس ماله، والأحكام أساس أعماله، فهو آخذ بالأحوط من المامورات، مجتنب للمنهيات، مقتصر على الضروريات من المباحات، همه تخلية القلب من الرذائل، وتحليته بالفضائل، متبعاً فى ذلك أصحاب الحديث، لما هم عليه فى ذلك من التحقيق والتثبيت، غايته: إفراد القلب لله دون ما سواه.

فالتصوف -فى نظرى- أولى قضايا العصر الحالى، فينبغى الاهتمام به علماً وعملاً،

وما أصاب الأمة اليوم من تراجع وخذلان إنما داؤه غياب تلك المعانى النبيلة، والصفات الحميدة، المأخوذة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فعندما فهم السلف معانى التصوف على حقيقتها وعملوا بها كان لهم السبق فى جميع الميادين، فشغلوا نفوسهم بالاستقامة والتقوى للذين هما أساس الدين وقوامه، لقوله ﷺ مخاطباً الأمة فى شخص أحد صحابته «قل آمنت بالله استقم» وقوله لآخر: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

وقد اشتهر عن الإمام مالك – رضى الله عنه – مقولة تنبيء عن أهمية التصوف فى الإسلام، حيث يقول: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق» نقلها زروق فى قواعده – رحمه الله تعالى – وكذا أنشد الإمام الشافعى – رضى الله عنه – بيتين رائعين فى تلازم الفقه والتصوف، فقال:

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً
فإنى وحق الله إياك أنصح
فذاك قاس لم يذق قلبه تقى
وهذا جهول فكيف يصلح

ولا أحد من الصادقين فى السلوك إلى الله تعالى ينكر ما شاب أهل التصوف من بدع وخرافات، ابتعدوا بها عن الإسلام ومنهجه، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، وإن كان العلامة الفقيه والصوفى المتين: زروق الفاسى – رحمه الله تعالى – قد نفى وجود الشيخ الصالح، والمربى الناصح، فى زمانه – وهو القرن التاسع الهجرى – فلا غرابة فى نفى وجوده فى هذا الزمان،

على أن شيوع تلك البدع فى كثير من الصوفية الآن، لا يمس أصل التصوف من قريب أو بعيد بحال من الأحوال، فكما لا ربط بين المسلمين وبين الإسلام فى الحكم عليه، لقصور المسلمين عن القيام بواجبهم تجاه الإسلام، لا ربط أيضاً بين التصوف وأهله إذ هو جزء منه، فلا يعتبر صنيع القوم، ولا واقع تاريخهم شهادة على التصوف، بقدر ما هو شهادة على الصوفية، فإن كان فى تطبيقهم للتصوف ما يساير قواعده تلك الباقية المثالية فذاك، وإلا فذنبهم فى ذلك على جنبهم، وليس على التصوف إثم شىء منه.

* * *

ولم يكن عملي في هذه الرسالة إلا بعض تصحيحات لأخطاء مطبعية كانت قد وقعت في طبعتها الأولى، مع كتابة شيء من التعليقات اقتضتها موضوعات الرسالة، وللمؤلف نفسه بعض تعليقات رمزت إلى كل واحدة منها بوضع حرف «ف» في آخرها فليعلم ذلك.

وأسأل الله أن يكون قصدنا في الأقوال والأفعال وجهه -تعالى- وأن يوفقنا لما فيه رضاه، ويقطعنا عن كل شيء سواه، وأن يملأ قلوبنا من حبه وحب رسله، ويذيقنا لذة الوصل من فيض فضله، وأن يأخذ بأيدينا إن زللنا، ويسامحنا إن أخطأنا، إنه هو الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم. آمين.

وكتبها العبد الضعيف:

عصام محمد الصاري

عفى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾

[الشورى: ٤٢ – ٤٣].

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[التكوير: ٢٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى منح أولياءه جزيل عطائه، ووهب أصفياءه جليل حبائه[١]، تجلى لهم بمظهر من مظاهر اسمائه، فتاهت عقولهم فى مشاهدة عظمته وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمة فى قدس سنائه، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشهدوا سواه فى أرضه وسمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخرها ليوم لقائه، ونستوجب بها جميل جزائه[٢]، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل رسله وأنبيائه، افاض عليه مولاه من أنواع العلوم والمعارف ما تنوء الجبال الشم بحمل أعبائه، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاماً خالدين مع خلود الدهر، باقيين بعد فنائه، ورضى الله عن آله الكرام حماة الدين ، الدافعين عنه بالسيف والبرهان حملات أعدائه، وعن أصحابه الفخام، والتابعين لهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

(أما بعد) فإن التصوف كبير قدره، جليل خطره، عظيم وقعه، عميق نفعه، أنواره لامعة ، وأثماره يانعة ، واديه قريع[٣] خصيب ، وناديه يندو[٤] لقاصديه من كل خير بنصيب، يزكى النفس من الدنس، ويطهر الأنفاس من الأرجاس، ويرقى الأرواح إلى مراقى الفلاح، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن.

وهو – إلى جانب هذا – ركن من أركان الدين ، وجزء متمم لمقامات اليقين، خلاصته : تسليم الأمور كلها لله، والالتجاء فى كل الشئون إليه. مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال فى واجب ولا مقاربة المحظور، كثرت أقوال العلماء فى تعريفه، واختلفت

---

(١) حبائه: –بكسر الحاء المهملة– اى عطائه.

(٢) اى ونستحق بها جزاءه الجميل، إذ لا يجب على الله شىء.

(٣) قوله «قريع» بقاف وعين مهملة، كذا فى الأصل المطبوع، ولعله تصحيف صوابه «فريغ» بفاء وغين معجمة، اى واسع عريض. راجع «اللسان».

(٤) قوله «يندو» اى يكثر العطاء لهم والتسخى عليهم، ومنه قول الشاعر:

لولا كتائب من عمرو يصول بها

أرديت يا خير من يندو له النادى

انظارهم فى تحديده وتوصيفه، وذلك دليل على شرف اسمه ومسماه، ينبئ عن سمو غايته ومرماه، فقيل: التصوف: الجد فى السلوك، إلى ملك الملوك، وقيل: التصوف: الموافقة للحق، والمفارقة للخلق. وقيل: التصوف ابتغاء الوسيلة، إلى منتهى الفضيلة. وقيل: التصوف: الرغبة إلى المحبوب، فى درك المطلوب. وقيل: التصوف: حفظ الوفاء وترك الجفاء. إلى غير هذا من الأقوال التى تبلغ نحو الف حكاها الحافظ الصوفى أبو نعيم الأصفهانى فى كتابه «حلية الأولياء» وسئل الأمام أبو القاسم الجنيد –سيد الطائفة– عن التصوف، فقال: (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة) اهـ. ولعل هذا أبلغ ما قيل فى التصوف وكشف حقيقته، وإن كانت الأقوال السابقة مختلفة فى اللفظ والمبنى، فهى متفقة فى الغاية والمعنى. وإنما عبر كل قائل بحسب مدركه ومشربه[١]، وعلى نحو اختلافهم فى التصوف اختلفوا فى معنى الصوفى واشتقاقه، فقال الإمام أبو على الروذبارى وقد سئل عن الصوفى: (من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى ﷺ). وقال الإمام سهل بن عبد الله التسترى[٢]: (الصوفى من صفا عن الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر،

---

(١) وما أحسن ما أنشده العلامة ابن الحاج فى المدخل –رحمه الله تعالى– حيث يقول:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف: أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئباً ... على ذنوبك طول الدهر محزونا

نقل هذه الأبيات العلامة: محمد الأمير –رحمه الله تعالى– فى حاشيته على جوهرة التوحيد، ص ١٦٣.

(٢) بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وسهل هذا هو القائل: (الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) وكثير من الناس يعتقدونه حديثاً وليس كذلك. (ف).

واستوى عنده الذهب والمدر)[١]، وأنشد الإمام تقى الدين السبكى:

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدما وظنوه مشتقاه من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى لقب الصوف

وهذان البيتان لأبى الفتح البستى. وقال العلامة الشيخ محمد ميارة المالكى فى شرح المرشد المعين: (وفى اشتقاق التصوف أقوال، إذ حاصله اتصاف بالمحامد، وترك للأوصاف المذمومة وقيل: من الصفاء). وقال المحقق أبو حفص الفاسى المالكى: (ظهر لى أنه منسوب إلى الصوف، لأنه فى الغالب شعاره ودثاره[٢]، ولأن هذا اللفظ -يعنى لفظ صوفى- مشتمل على ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات دالة على ثلاثة معان هى أوصافه المختصة به، فالصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء). قال العلامة ابن الحاج: (وقد أشرت إلى ذلك فى ثلاثة أبيات، فقلت:

صفا منهل الصوفى عن علل الهوى
فما شاب ذاك الورد من نفسه حظ

ووفى بعهد الحب إذ لم يكن له
إلى غير من يهوى التفات ولا لحظ

---

(١) وقد ذكر الإمام شهاب الدين عمر السهروردى -رحمه الله تعالى- فى كتابه «عوارف المعارف» (١/٢٠٨) ضابطاً يجمع جمل معانى تلك الأقوال، فقال: «الصوفى: هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوائب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه.. فلا بد للصوفى من دوام الحركة، بدوام الافتقار، ودوام الفرار، وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى التصوف جميع المتفرق فى الإشارات» اهـ.

(٢) الشعار: -بالكسر- ما ولى الجسد من الثياب، والدثار: ما كان فوق الشعار من الثياب، وهو أيضا بالكسر.

مـــــحت آية الإظلام شـــــمس نهـــــاره

وقـــــد ذهبت منه الإشـــــارة واللفظ(١)

ثم إن التصوف مبنى على الكتاب والسنة، لا يخرج عنهما قيد أنملة(٢). قال الإمام الجنيد: (علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة) وقال أيضاً: (الطريق إلى الله تعالى مسدود، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ). وقال سهل التسترى -أحد أئمة القوم-: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب المعاصى، والتوبة، وأداء الحقوق).

وقال أبو العباس الملثم -أحد كبار الصوفية-: (لم تكن الأقطاب أقطاباً، والأوتاد أوتاداً، والأولياء أولياء، إلا بتعظيمهم رسول الله ﷺ. ومعرفتهم به، وإجلالهم لشريعته، وقيامهم بآدابه). وقال الإمام أبو الحسن الشاذلى الغمارى: (من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو مدعى). وقال: (ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين فى الهداية، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال أيضاً: (ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة، فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب، أو ذو خطأ فى العلم والصواب، كمن أكرم بشهادة الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب). وقال تاج الدين السبكى فى جمع الجوامع -وهو من الكتب المقررة فى الأزهر-: (ونرى أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم). قال شارحه الجلال المحلى: (فإنه خال من البدع، دائر على التسليم والتفويض والتبرى من النفس..) وقال التاج السبكى أيضاً فى كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»: (الصوفية

---

(١) وقيل إن الصوفية نسبة إلى صوفة وهو أبوحى من مضر، سمى صوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها، واستمر أولاده بعده يخدمونها. ويقال لهم صوفان، قال الزمخشرى فى أساس البلاغة: وآل صوفان كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون، ولعل الصوفية نسبت إليهم تشبيهاً بهم فى التنسك والتعبد، أو إلى أهل الصفة، فيقال مكان الصفية: الصوفية بقلب إحدى الفاءين واواً للتخفيف. (ف).

(٢) القيد: -بكسر القاف الممدودة- أى القدر. والأنملة: واحدة الأنامل، رؤوس الأصابع التى فيها الظفر، وهى بفتح الهمزة، وفتح الميم أكثر من ضمها، وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام، وقال فى المختار: «وأما ضم الميم فلا أعرف أحداً ذكره غير المطرزى فى المغرب» وجاء فى القاموس والمصباح أن فيها تسع لغات، بتثليث الميم والهمزة.

حياهم الله وبياهم، وجمعنا فى الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، والصحيح أنهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون فى أغلب الأوقات بالعبادة. ومن ثم قال الجنيد: التصوف استعمال كل خلق سنى، وترك كل خلق دنى. وقال أبو بكر الشبلى -تلميذ الجنيد-: التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك . وقال ذو النون المصرى : الصوفى من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق. وقال على بن بندار -تلميذ الجنيد-: التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً، وهذه عبارات متقاربة. والحاصل: أنهم أهل الله وخاصته، الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضى الله عنهم وعنا بهم، وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله: جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه -صلوات الله عليهم وسلامه- جعل الله قلوبهم معادن أسراره، واختصهم بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق. ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذة).

وقد كثر فى هذا الزمان الذى طغى شره على خيره، من ينكر التصوف ويزعم أنه دخيل على الإسلام، جاء به مسلمة الكتابيين والبوذيين ومن على شاكلتهم، وأن الصوفية أصحاب بدع وخرافات، إلى غير ذلك من الدعاوى التى يأباها العقل، ويكذبها النقل، فانتدبنا لإبطالها بهذا الكتاب الذى نرجو الثواب عليه من الله تعالى، والتزمنا فيه إيراد الأدلة من الكتاب والسنة، وقصدنا إيضاح الدلالة بعبارة مبسطة هادئة خالية من التعقيد، مع الاستشهاد بكلام أئمة المسلمين وعلمائهم، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق.

فى فتوى لمولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه -أجاب بها من سأله عن أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحى سماوى ؟- جاء فيها: وأما أول من أسس الطريقة؟ وهل تأسيسها بوحى؟... الخ فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحى السماوى فى جملة ما أسس فى الدين المحمدى، إذ هى بلاشك مقام الإحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى ﷺ بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً، فقال «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم» فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه. هو مقام الإحسان، بعد

تصحيح الإسلام والإيمان، ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة، والضامنة أيضاً لمحرزها كمال الدين، فإنه -كما فى الحديث- عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بمقام الإحسان الذى هو الطريقة فدينه ناقص بلاشك، لتركه ركناً من أركانه، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول فى الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلاً.

ولسنا بصدد بيان ذلك الآن. وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية، فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والإنابة والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضا والتسليم والزهد والصبر والإيثار والصدق والمجاهدة ومخالفة الهوى والنفس، وتكلم على النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة، وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين، وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم، فاعرف وتأمل. وأما قولك: هل لما أسست الطريقة؟.. الخ فجوابه يعلم مما قبله، فإنها إذا كانت من الدين -بل هى أشرف أركانه- وكانت بوحى كما قلناه، وكان الصحابة بالحالة التى بلغتنا عنهم تواتراً، من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها، وعامل بمقتضاها، وذائق لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا على غاية مايكون من الزهد فى الدنيا ، والمجاهدة لأنفسهم، ومحبة الله ورسوله، والدار الآخرة، والصبر والإيثار، والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التى يحبها الله ورسوله، وتوصل إلى قربهما، وهى المعبر عنها بالتصوف والطريقة. وكما كانوا -رضى الله عنهم- على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها، وإن كانوا دونهم فيها ، وكذلك كان أتباع التابعين. وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع، وتأخرت الأعمال، وتنافس الناس فى الدنيا، وحييت النفوس بعد موتها، فتأخرت بذلك أنوار القلوب ، ووقع ما وقع فى الدين، وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك فى أواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين. فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف، فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله.

فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم -رضى الله عنهم- وكان من الطائفة الثانية الأشعرى وأشياخة وأصحابه، وكان من الطائفة الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه. فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة، لما ذكرناه من أنها بوحى إلهى وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها، ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخر. ولهذا السبب نسبت العقائد للأشعرى ، والفقه للأئمة الأربعة، مع أن الجميع بوحي من الله تعالى. وهذا تحقيق نفيس بالغ النهاية فى الحسن والإيجاز، ما ترك لمنصف قولاً. وهذه أحاديث فى تأييد مذهب الصوفية، مشفوعة بما يوضح معناها، ويبين وجه الدلالة منها على ما تقتضيه القواعد الحديثية والأصولية .

المؤلف

الشيخ عبدالله الصديق الغمارى

الحديث الأول

«الإحسان. المراقبة. المشاهدة»

عن عمر رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه[١] -تأدبا كهيئة المتعلم- وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ قال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه!! قال فأخبرنى عن الإيمان؟ قال «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال: صدقت قال فأخبرنى عن الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال فأخبرنى عن أماراتها قال «أن تلد الأمة ربتها[٢] وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» فانطلق الرجل فلبثت ملياً ثم قال «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم فى صحيحه، ورواه الشيخان من حديث أبى هريرة، وله الفاظ وطرق، وهو حديث مستفيض.

قال الهروى فى «منازل السائرين»: هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة.

---

(١) قول عمر -رضى الله عنه- «ووضع كفيه على فخذيه» محتمل لان يكون الرجل وضع كفيه على فخذى نفسه، او ان يكون وضعها على فخذى سيدنا رسول الله -ﷺ- فرجح الأول غير واحد من العلماء ظنا منهم انه الادب، ولكن جاء فى رواية النسائى: «فوضع يديه على ركبتى النبى -ﷺ-» فارتفع الاحتمال. أفاده الإمام ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-.

(٢) قوله -ﷺ- «أن تلد الأمة ربتها» أى سيدتها، وقد اختلف العلماء فى تفسيره، والاكثر على أن المراد به: أن يستولى المسلمون على المشركين، ويكثر التسرى بالإماء، فيكون ولد الامة من سيدها بمنزلة سيدها، لشرفه بأبيه، وعلى هذا فالذى يكون من أشراط الساعة: استيلاء المسلمين على المشركين، وكثرة الفتوح والتسرى.

قال شارحه[١]: لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه فى الحركات والسكنات، بل فى الأنفاس واللحظات، حتى يستولى سلطان الحق على القلوب، فيضمحل ما تعلقت به أو سكنت إليه من الأحوال والخطوب. فالإحسان يشتمل على مقامين (المراقبة ثم المشاهدة)، والحديث بدأ بالمشاهدة إشارة إلى علوها وسموها، وأنها المقصد الأهم، أما فى السلوك والترقى فيكون البدء بالمراقبة، لأن دوامها يورث المشاهدة، ولهذا لما أراد الجنيد الدخول فى الطريق وذهب إلى خاله وأستاذه السرى السقطى يفضى إليه برغبته، قال له: يا بنى إنى ألقنك ثلاث كلمات، إذا أردت أن تنام من الليل فقل عند نومك: الله معى، الله ناظر إلى، الله شاهد على، قال الجنيد: فواظبت عليها نحو شهر، ثم قال لى أستاذى: يا بنى إذا كان الله معك وناظر إليك وشاهد عليك، فهل يصح أن تعصيه؟ قال الجنيد فنفعنى الله بهذه الكلمات طوال حياتى، كلما هممت بمعصية تذكرتها فما عصيت الله قط. فانظر كيف لقن السرى تلميذه الجنيد مقام المراقبة لأنه يوصل إلى المشاهدة القلبية، أما المشاهدة البصرية فهى فى الدنيا خاصة بنبينا ﷺ، لم تعط لغيره؛ قال ابن عباس: إن الله أعطى الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ. وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال وأنه يقول للناس أنا ربكم قال النبى ﷺ «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» وسئل الإمام مالك لم لم ير المؤمنون ربهم فى الدنيا وإنما يرونه فى الآخرة؟ فأجاب بأنهم فى الدنيا فانون، والفانى لايرى الباقى، وفى الآخرة أعطوا أبصاراً باقية، فرأو الباقى بالباقى، ولهذه المناسبة أذكر حادثة وقعت فى بغداد، فقد رفع إلى الخليفة أن أحد مشايخ الطريق ادعى أنه رأى الله ببصره وقامت عليه البينة، فأمر بقتله.

فعلم القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه -وهو حنبلى المذهب صوفى المشرب- فذهب إلى الخليفة، وقال له: إن هذا الشيخ ضاقت عنه العبارة فصدر عنه مالا يقصد، فقال الخليفة: وماذا يقصد؟ فقال الشيخ عبد القادر: إنه شاهد الله ببصيرته، فانعكس نور بصيرته على بصره فشاهد ذلك النور، فصدر عنه ما سمعتموه فقال ذلك الشيخ: والله ما أردت إلا هذا، وصدر الحكم ببراءته، وسلامة عقيدته. وهكذا أغلب الألفاظ المشكلة المنقولة عن بعض الصوفية، لها محامل صحيحة، ووجوه من التأويل حسنة ولكن المعترضين عليهم مغرضون.

(١) وهو: الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- واسم كتابه: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» له فيه روح عالية وتحقيقات بالغة، وكان مقتضى منهج مؤلفنا الغمارى ذكر اسم الشيخ صراحة، أعلى الله مقامنا فى عليين.

الحديث الثانى

«محاربة الله لمن عادى أولياءه. المجاهدة. الفناء فى الله»

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ وآله وسلم قال «إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا[١] فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها،ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه» رواه البخارى فى صحيحه، وله طرق عن عائشة وأبى أمامة وعلى وأنس ومعاذ وحذيفة.

فى هذا الحديث بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته، ذلك أنهم يبدأون بالمجاهدة، ولا يزالون يجاهدون أنفسهم، ويجتهدون فى تطهير قلوبهم من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه من الأقوال والأعمال والأحوال، ولزوم الإقبال عليه، ودوام المثول بين يديه، فى كل وقت وعلى كل حال بحسب الإمكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء، ومن وصل منهم إلى هذا المقام كان محبوبا ملحوظا، ومربوبا محفوظا، فنى عن نفسه، وبقى بربه، فكان الله ولى أمره، وحافظ سره، فهو لذلك سمعه وبصره ويده ورجله، أى متولى شئونه كلها.

---

(١) فى شرح العلامة : عبدالله النبراوى -رحمه الله تعالى- للأربعين النووية (ص ١٧٣) ان المراد بالمعاداة ما كانت من أجل الولاية، لا مطلقاً فلا تدخل منازعته فى محاكمة لاستخراج حق، كما ان المراد بالولاية هنا : الإيمان ولو كان عاصياً، قال تعالى : «الله ولىّ الذين امنوا» فمن آذى مؤمناً فقد دخل فى وعيد الحديث المذكور، ثم قال فى ختام شرحه للحديث : «وهو أصل فى السلوك إلى الله -سبحانه وتعالى- والوصول إلى محبته ومعرفته».

الحديث الثالث

«علم الظاهر والباطن»

عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى ﷺ وآله وسلم «أن موسى قال للخضر -عليهما السلام-: (**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معى صبراً**) يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه، وأنت على علم علمك الله لا ينبغى لى أن أعلمه، أى جميعه، وكذا قوله : لا ينبغى لك أن تعلمه، أى جميعه، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى: وتقدير ذلك معتبر، لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر مالا غنى للمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحى. اهـ وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة من طرق، وفيه إثبات علم الباطن الذى يقول به الصوفية، ولهذا قال الجمهور: إن الخضر نبى وكان علمه معرفة بواطن أو حيت إليه، وعلم موسى الحكم بالظاهر. نقله أبو حيان فى «البحر المحيط» فالجمهور -كما ترى- موافقون للصوفية على إثبات الباطن والظاهر، وأن لكل منهما أهلا يختصون به، فماذا يقول المعترضون؟ إلا أن فى الحديث إشكالا أجاب عنه الحافظ ابن حجر بما سبق فى كلامه، وسلك فى الجواب عنه الشيخ سراج الدين البلقينى فى شرح البخارى مسلكا آخر حيث قال: هذا الحديث قد يشكل، فإن العلم المذكور فى الجهتين كيف لا ينبغى علمه؟ وجواب هذا الإشكال أن علم الحقائق والكشوف ينافى علم الظاهر، فلا ينبغى للعالم الحاكم بالظاهر الذى هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافى، ولا ينبغى للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذى ليس مكلفا به الذى ينافى ما عنده من الحقيقة ويمكن حمل العلم على تنفيذه، والمعنى: لا ينبغى لك أن تعلمه لتعمل به لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع، ولا ينبغى لى أن أعلمه فاعمل بمقتضاه، لأنه مناف لمقتضى الحقيقة، فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبى ﷺ إذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر[1]. اهـ ويؤيد حمل العلم على التنفيذ ما جاء فى رواية لمسلم : أن الخضر قال

---

(١) قلت: كيف يقال: إن علم الباطن ينافى علم الظاهر، مع تصريحهم كثيراً بحصول العلمين فى أكثر =

لموسى عليه السلام (**إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا**) شئ أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر، فهذا صريح فى حمل العلم على تنفيذه. وفى الحديث مسألة أخرى أشار إليها العلامة الأبى فى شرح مسلم حيث قال –فى شرح قول موسى (هل أتبعك) إلخ– : علم الخضر هو العلم بالمغيبات الموهوبة الدينية غير المكتسبة، فكيف يسأل تعليم مالا يكتسب؟ وكان الشيخ –يعنى شيخه الإمام ابن عرفة الذى قيل فيه إنه المجدد على رأس المائة الثامنة– يجيب بأن ذلك قد يكون باعتبار تعلم أسبابه فيمكن اكتسابها بالتزام نوع من طاعة الله تعالى ا هـ وهو يشير إلى ما اتفق عليه الصوفية أن المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يورث علوما وهبية، ويؤيده ما رواه الحسين المروزى فى زوائد الزهد لشيخه عبد الله بن المبارك فقال حدثنا أبو معاوية أنبأنا حجاج عن مكحول عن النبى ﷺ وآله وسلم قال «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1] إسناده صحيح، ورواه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب بإسناد ضعيف أيضا.

= من واحد بخصوصه منهم الإمام الجنيد، وأبو الحسن الشاذلى، وابن عطاء الله، وزروق الفاسى، وغيرهم، ويرحم الله أبا الحسين النورى حين قال: «من رأيتموه يدعى مع الله –عز وجل– حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربوا منه» وقال أبو سعيد الخراز –رحمه الله تعالى–: «كل باطن يخالف الظاهر فهو باطل» وسيأتى للمؤلف ان الأفضل والأوفق الجمع بين الحقيقة والشريعة. والله أعلم.

(١) الحديث ذكره ابن عراق –رحمه الله تعالى– فى كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٢ / ٣٠٥) بتحقيق: الشيخ عبدالله الغمارى، والشيخ عبدالوهاب عبداللطيف –رحمهما الله تعالى– فتنبه

الحديث الرابع

«للقرآن ظاهر وباطن»

عن الحسن البصرى قال قال رسول الله ﷺ وآله سلم «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع» رواه الفريابى فى تفسيره بإسناد صحيح[(١)]، ورواه أبو عبيد فى فضائل القرآن عن الحسن أيضا بإسناد حسن، وروى أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن» رجال الحديث ثقات كما قال الحافظ الهيثمى قال ابن النقيب فى تفسيره: ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله علهيا أرباب الحقائق . اهـ والحد هو الغامض من المعانى ، والمطلع ما يتوصل به إلى معرفته، ولا يتوصل إلى غامض المعانى إلا أرباب الحقائق بما أفاض الله عليهم من الأسرار والمعارف .

على عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن:

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن على بن أبى طالب عنده منه علم الظاهر والباطن)، وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (كنا نتحدث أن النبى ﷺ وآله وسلم عهد إلى على سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره) . فهذا تصريح بأن الصحابة كانوا يعترفون لعلى بتفوقه فى علوم الحقائق والأسرار، وهذا مما لا نزاع فيه، وقد قال فيه النبى ﷺ وآله وسلم «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وهو حديث صحيح[(٢)] كما بينه

(١) اعلم أن قول المحدثين فى الحكم على الحديث بصحة إسناده، أو ثقة رجاله، لا يعنى أن الحديث صحيح، إذ قد يكون الإسناد منقطعاً أو مرسلاً، مع ثقة رجاله . كما هى الحال فى هذا الحديث حيث إنه مرسل من مراسيل الحسن البصرى، ولكنه يعتضد بما سيذكره المؤلف عن عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- مرفوعاً .

(٢) وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (١ /٣٤٩- ٣٥٠) فابعد، وفى تاريخ بغداد (١١ /٤٩- ٥٠) أن يحيى بن معين سئل عن هذا الحديث فقال: «هو صحيح»، وكذا صححه السيوطى كما فى فتح الملك العلى (ص١١٦) وحسنه ابن حجر، كما فى اللآلىء (١ /٣٣٤) والسخاوى فى المقاصد الحسنة =

شقيقى الحافظ أبو الفيض فى كتاب «فتح الملك العلى» بصحة حديث باب مدينة العلم على» وقال ابن عباس: (سلم الصحابة لعلى تسعة أعشار العلم، وشاركهم فى العشر العاشر)، وكان عمر رضى الله عنه يقول: (أعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن) يعنى عليا عليه السلام، وقال أيضا: (لولا على لهلك عمر)، ونص المناوى على أن عمر لم يكن يبعث عليا فى الفتوحات مع شجاعته الفائقة لاحتياجه الى علمه، وحصلت حادثه فى عهد أبى بكر رضى الله عنه أشكلت عليه وعلى الصحابة، فأرشدهم ابن عباس إلى إحالتها على على عليه السلام فلما أجاب عنها وحل مغلقها، قال له أبو بكر والصحابة: يا مفرج الكروب، وهذه الحادثة مروية بإسنادها فى كتاب المجتنى لابن دريد. ولهذا كان على عليه السلام أستاذ الصوفية ورئيسهم، كما قال الجنيد وابن العربى الحاتمى وغيرهما، وسلسلة الطريق لا تتصل إلا به، ولا تنتهى إلا إليه بالتلقين والاقتداء والصحبة كما فصله أخى فى البرهان الجلى.

= (ص٩٨) قال العلائى: «والحاصل ان الحديث ينتهى بمجموع طريقى أبى معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن ان يكون موضوعاً، ولم اجد لمن ذكره فى الموضوعات طعناً مؤثراً فى هذين السندين، وبالله التوفيق» راجع ما تقدم فى تحقيق الشيخ الفاضل: محمود سعيد ممدوح، لكتاب «النقد الصحيح» للعلائى (ص٧٩).

الحديث الخامس

«علوم الحقائق لا ينكرها إلا المغرورون»

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فاذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» رواه الطبسى فى الترغيب، والله والديلمى مسند الفردوس وهو حديث ضعيف، لكنه يتأيد بشيئين «أحدهما» ماثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أيضا قال : حفظت من رسول الله ﷺ واله وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم، قال البخارى البلعوم: مجرى الطعام وهو بضم الباء، وفى رواية لقطع هذا يعنى رأسه، فذلك الوعاء الذى لم يبثه محمول على الأحاديث التى فيها بيان أمراء السوء من بنى أمية وعلى الأحاديث التى تتعلق بأشراط الساعة والملاحم فى آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألفه طبعه كما حصل من مبتدعة العصر إنكار المهدى ونزول عيسى وخروج الدجال والميزان، وغير ذلك. وعلى ما تلقاه من الأسرار والحقائق التى يضيق نطاق كثير من الناس عن فهمها فيبادرون إلى إنكارها : «ثانيهما» ما هو واقع مشاهد، فلا ينكر علوم الصوفية وما وهبهم الله من الحقائق إلا الأغرار المفتونون أصحاب مطامع وأغراض . ومما يصحح به الحديث الضعيف عند أهل الحديث ان يكون الواقع على وفقه لأنه ليس بعد الواقع المشاهد دليل.

الحديث السادس

«علم الباطن هو العلم النافع»

عن الحسن عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «العلم علمان فعلم ثابت بالقلب فذاك العلم النافع وعلم فى اللسان فذاك حجة الله على عباده» رواه الخطيب فى التاريخ، وحسنه الحافظان زكى الدين المنذرى وزين الدين العراقى، وأعله ابن الجوزى فلم يصب، ورواه أبو نعيم والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف[١].

وهذا الحديث أورده قطب الدين القسطلانى[٢] -وهو قبل القسطلانى صاحب المواهب اللدنية - فى كتابه فى التصوف شاهدا للحديث السابق، يشير بذلك إلى أن العلم الثابت بالقلب هو علم الباطن، بدليل حديث «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقد تقدم تخريجه، وأن علم اللسان هو علم الظاهر وهو حجة الله على عبده إذا لم يعمل به. وإنما كان علم الباطن الذى هو علم القلب نافعا لأنه لا يحصل للشخص إلا بعد المجاهدة والعمل بالعلم الظاهر إذ هو نتيجته وثمرته، بخلاف علم الظاهر فلا ينتفع به إلا من يعمل به، وليس كل عالم عاملا.

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق سفيان الثورى عن أبى حيان التيمى عن رجل قال كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم بأمر الله. وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذلك العالم الكامل - لجمعه بين علمى الظاهر والباطن - وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر. وإنما كان هذا فاجراً لأنه لم يعمل بعلم الظاهر، والأول من علماء الباطن وهو من الأبرار لأنه خشى الله واتقاه، **(واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم)**.

---

(١) ورواه ابن أبى شيبة في المصنف والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وابن عبد البر فى العلم من طريق هشام عن الحسن مرسلا باسناد صحيح. (ف).

(٢) جاء فى «رفع الأستار» للعلامة: حسن محمد المشاط -رحمه الله تعالى- (ص٦): «القسطلانى: هو بضم القاف وسكون السين وضم الطاء وتشديد اللام.. كذا أخذناه عن المشايخ شرقاً وغرباً، ووجدناه بخط من يقتدى به اهـ من الهدى» والمشهور: فتح القاف والطاء بينهما سين ساكنة مع تشديد اللام.

الحديث السابع

«الإلهام - التحديث»

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر»، وفى رواية « قد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتى أحد فعمر» رواه البخارى، ورواه مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها، ولفظه «قد كان يكون فى الأمم قلبكم محدثون، فان يكن فى أمتى منهم أحد، فعمر منهم» قال ابن وهب: تفسير محدثون -بفتح الدال المشددة- ملهمون. قال أكثر العلماء: الملهم هو الرجل الصادق الظن، يلقى فى روعه شئ من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذى حدثه غيره به. وقيل مكلم تكلمه الملائكة من غير نبوة كما تقدم فى إحدى روايتي أبو هريرة، وجاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قيل: يارسول الله: وكيف يحدث؟ قال « تتكلم الملائكة على لسانه» رواه الجوهرى فى فوائده، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل رده إلى المعنى الأول، أى تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلما فى الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام. وقوله «فإن يكن فى أمتى أحد» إلخ قال الحافظ ابن حجر: قيل لم يورد هذا القول موردالترديد، فان أمته افضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التاكيد كما يقول الرجل : إن يكن لى صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفى الأصدقاء. وقيل : الحكمة فيه أن وجودهم فى بنى إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبى واحتمل عنده ﷺ الا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستنائها بالقرآن عن حدوث نبى، وقد حصل ذلك - أى حصل الاستغناء بالقرآن - حتى إن المحدث منهم - بفتح الدال المشددة - إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بد من عرضه على القرآن فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع - لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنيا على اتباع الكتاب والسنة، وتمحضت الحكمة فى وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة فى تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل فى كثرة

الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين. ا هـ كلام الحافظ.

هذا وقد اهتم علماء الأصول بالإلهام، وعقدوا له بحثا خاصا تكلموا فيه على معناه، والاحتجاج به. قال التاج السبكى فى جمع الجوامع : (**الإلهام إيقاع شئ فى القلب يثلج له الصدر**) أى ينشرح له: وقال الشوكانى فى إرشاد الفحول : **دلالة الإلهام ذكرها بعض الصوفية** ، وحكى الماوردى والرويانى فى كتاب القضاء فى حجية الإلهام خلافا، قال الزركشى فى البحر المحيط: واختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام الرازى فى تفسيره فى أولة القبلة، وابن الصلاح فى فتاواه، فقال : إلهام خاطر الحق من الحق، قال: ومن علامته أن ينشرح له الصدر، ولا يعارضه معارض آخر. وقال أبو على التميمى فى كتاب التذكرة فى أصول الدين : ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطراراً للعباد على سبيل الإلهام، بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى (**يا أيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً**) أى ما تفرقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالى (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا**)[1] أى من كل ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالى (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات، وامتثال المامورات، وخبره صدق ووعده حق. واحتج شهاب الدين السهروردى على الإلهام بقوله تعالى: (**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**) وبقوله (**وأوحى ربك إلى النحل**) فهذا الوحى هو مجرد الإلهام، ثم إن من الوحى علوماً تحدث فى النفوس الزكية المطمئنة، قال ﷺ « إن من أمتى المحدثين والمكلمين وإن عمر لمنهم » وقال تعالى (**ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقوّاها**) فأخبر أن النفوس ملهمة، واختار السهروردى أن الإلهام حجة لمن وقع له دون غيره، ومال إليه سعد الدين التفتازانى فى بعض مصنفاته، والراجح عند الجمهور أنه ليس بحجة ، لا نتفاء العصمة، وهو قول جمهور الصوفية أيضا.

---

(١) للشيخ العلامة: تاج الدين عمر بن على اللخمى الاسكندرانى المالكى، المعروف بالفاكهانى - رحمه الله تعالى - رسالة مفيدة للغاية فى تفسير هذه الآية، سماها « الغاية القصوى فى الكلام على آية التقوى » طبعت محققة فى بيروت سنة ١٩٩٥م، ينصح كل طالب بقراءتها والعمل بها، والله الموفق.

الحديث الثامن

«الحـقيقـــة»

عن أنس أن النبى ﷺ لقى رجلا يقال له : حارثة، فى بعض سكك المدينة، فقال «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال : أصبحت مؤمناً حقاً، فقال « إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»، فقال: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أسمع عواء أهل النار، فقال «مؤمن نور الله قلبه» وفى رواية « عرفت فالزم، مؤمن نور الله قلبه» رواه البزار فى مسنده والبيهقى فى الشعب، وله طرق عند ابن المبارك فى الزهد، وعبد الرزاق فى التفسير، والطبرانى فى المعجم، وابن منده. فى هذا الحديث إثبات المجاهدة، والزهد، وجولان الروح فى العرش والجنة والنار بطريق التفكير والمشاهدة القلبية، وفيه أيضا إثبات الحقيقة، وهو المقصود هنا، قال شارح منازل السائرين: حقيقة الشئ عند أهل هذا الشأن علاماته الدالة عليه، واستدل بهذا الحديث. قال الحافظ السيوطى : ويظهر لى أن أهل هذا الشأن إنما سموا علمهم علم الحقيقة أخذاً من لفظ الحقيقة فى هذا الحديث، وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان إلى علم النحو ، فهو سره ومبنى عليه، فمن أراد الخوض فى علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شئ، كما أن من أراد الخوض فى أسرار علم المعانى والبيان من غير أن يحكم النحو فهو يخبط خبط عشواء ، وكيف يدرك أحوال الإسناد والمسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول؟ هذا بين لكل أحد، والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص، كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه، والتصوف فقه بلاشك ، فإن أكثره تكاليف واجبة ومندوبة، ومنها محرمة ومكروهة، وقد نص على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول، ووافقهم ابن السبكى فى جمع الجوامع واعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبارة التى ألفوها فى علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان، وكانوا أول قائل بها، وإنما ينفرهم منها إيرادها بعبارة مستغربة لم يألفوها. ولهذا قال بعضهم : الحقيقة أحسن

ما يعلم، وأقبح ما يقال، وأنا أورد لك مثالا تعرف به صحة ذلك. قال فى منازل السائرين : حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز الثقة من الغرة ونسيان الجناية، والتوبة عن التوبة أبداً، فإن سمع الفقيه هذا اللفظ استغربه جداً، وقال: كيف يتاب من التوبة؟ وإنما يتاب من المعاصى، وتقرير معناه : أن العبد إذا كمل فى رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها توبة كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته. لأن التوبة – وإن كانت من كسب العبد – فهى من خلق الله وتوفيقه ، ولو لم يتب عليه لما تاب، قال تعالى **(ثم تاب عليهم ليتوبوا)** فرؤية العبد التوبة من نفسه ذنب يستغفر منه، بل عليه أن يشهد محض منة الله عليه بها وتوفيقه لها ، ويلغى نفسه أصلا عن درجة الاعتبار، وهذا مقام الفناء فى التوبة، وهى أول منازل السائرين، ويقاس به مقام الفناء فى التوحيد فلا يشهد فى توحيده صنعاً، بل محض منة الله عليه به، وتوفيقه له، وهذا المعنى إذا عرض على الفقيه بهذهِ العبارة المألوفة كان أول قائل به، وناصر له ، ا هـ.

وقال سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام فى قواعد الأحكام : الطريق فى إصلاح القلوب التى تصلح الأجساد بصلاحها وتفسد بفسادها : تطهيرها من كل ما يباعد عن الله ، وتزيينها بكل ما يقرب إليه، ويزلف لديه، من الأحوال والأقوال والأعمال، وحسن الآمال، ولزوم الإقبال عليه، والإصغاء إليه، والمثول بين يديه، فى كل وقت من الأوقات وحال من الأحوال، على حسب الإمكان، من غير أداء إلى السآمة والملل، ومعرفة ذلك هى الملقبة بعلم الحقيقة، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة، ولا ينكر شيئا منهما إلا كافر أو فاجر، وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم فى شئ من الصفات، وهم شر من قطاع الطريق لأنهم يقطعون طريق الذاهبين إلى الله تعالى . ا هـ .

فتلخص من جميع ما تقدم : أن الحقيقة صنو الشريعة ، بل هلى لُبُّها وسرها الخالص[١]، وأن ما يثار حولها من اعتراضات قد تصل إلى الكفر أحياناً، مرجعه إلى أمرين « أحدهما » صوغ معانيها فى عبارات غامضة غير مألوفة كما أشار إليها الحافظ

---

(١) قال أبو بكر الدقاق – وهو من كبار الصوفية – كنت ماراً فى تيه بني إسرائيل فخطر ببالى ان علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لاتتبعها شريعة فهي كفر (ف).

السيوطى « ثانيهما » تشبه الدخلاء بأهل الحقائق كما أشار إليه عز الدين بن عبد السلام، وجعل هؤلاء الدخلاء شراً من قطاع الطريق، وهذا ما حمل رجال العشيرة المحمدية وفقهم الله على القيام بحملة واسعة لتطهير التصوف مما ألصق به من بدع وخرافات ، وإرجاعه إلى ما كان عليه أيام السلف الصالح من السمو الروحى، والتهذيب الخلقى ، وفق الله الخطى، وحقق الآمال.

الحديث التاسع

«المكاشفة»

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم، ورواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الطب النبوى والترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى أمامة رضى الله عنه، ورواه ابن جرير وأبو نعيم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، ورواه ابن جرير من حديث ثوبان رضى الله عنه ولفظه «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله» وهو حديث حسن كما قال الحافظان نور الدين الهيثمى ، وجلال الدين السيوطى، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فلم يصب، وروى ابن جرير والبزار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم» إسناده على شرط الحسن، هذا الحديث أصل فى الكشف الذى يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يكاشف الشخص بما حصل منه فى غيبته كأنه كان حاضراً معه، ونص الحافظ ابن حجر فى فتح البارى - فى شرح حديث قتل خبيب - رضى الله عنه - على أن إجابة الدعوة فى الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتى ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة. اهـ وقال أيضاً - فى شرح حديث « فى خمس لا يعلمهن إلا الله » : وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال : إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال : إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتى إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء فى قوله تعالى (**إلا من ارتضى من رسول**) فإنه يقتضى اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولى التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم: والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحى كلها، والولى لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام والله أعلم . ا هـ .

الحديث العاشر

«الخلوة والانقطاع إلى الله»

عن عـائشـة رضى الله عنهـا قـالت: أول مـا بدئ به رسـول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد، ويتزود لذلك، رواه البخارى. فى هذا الحديث دليل للصوفية فى الخلوة والانقطاع عن الخلق فى الزوايا والمساجد، قال العارف أبو محمد بن أبى جمرة فى بهجة النفوس: (فى الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه، لأن النبى ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم الله له من مقامات الولاية). اهـ ولأن الخلوة تعين على التفكر فى عظمة الله، وسعة قدرته، وعموم نعمته، وباهر حكمته، وقد كان تعبد النبى ﷺ فى خلوته بغار حراء تفكراً واعتباراً، وحض القرآن الكريم على التفكر فى غير آية، منها قوله تعالى **(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض)** الآية.

وأيضاً فان الخلوة أجمع لقلب المريد وأعون له على التفرغ لذكر الله وأبعد عن الرياء، وأيضا فان الخلوة تبعد المريد عن مواطن اللغو واللغط، وتهيئه لقبول الواردات الإلهية والتجليات الربانية: ولهذا رغب الشارع فيها، وجعلها من العادات المطلوبة، وافردها فقهاء المذاهب بباب خاص لها هو باب الاعتكاف ذكروا فيه أحكامه وشروطه وآدابه، وثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان، فيلزم المسجد النبوى، ويعتزل نساءه، ويقبل على العبادة والذكر وتلاوة القرآن، ولا يخرج إلا لقضاء حاجة الإنسان، وفى سنن أبى داود بإسناد لا بأس به عن عائشة رضى الله عنها قالت: السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بدله منه، فهذه هى الخلوة التى اتخذها الصوفية، وسموها تجريدا، لأن المريد يتجرد من العلائق والعوائق وينقطع إلى الذكر والعبادة مدة

قد تطول وقد تقصر بحسب استعداده وما قسم له : لكنهم صرحوا مع ذلك بأن المريد إذا كان له عمل يتكسب به كالتجارة أو صناعة مثلا، فلا ينبغى له تركه إلى الخلوة والتجريد، بل يبقى فى عمله الذى اقامه الله فيه، ويتسطيع أن يذكر الله فى حالته تلك وفى أوقات فراغه، ولهذا قال ابن عطاء الله فى الحكم : إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية : ودليلهم على ذلك حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله! لو كان هذا فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان» رواه الطبرانى بإسناد صحيح : وقد كان فى الصحابة أهل التجريد ، وأصحاب الأسباب، أما أهل التجريد فهم أهل الصفة كانوا نحو سبعين صحابيا مقيمين بالمسجد النبوى لا أهل لهم ولا مال، وكان النبى ﷺ ينفق عليهم، واسمع إلى أبى هريرة يتحدث عن نفسه وعنهم – وهو أحدهم – فيقول : والذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقدقعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعنى فلم يفعل، ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعنى، ثم مر أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآنى وعرف مافى وجهى وما فى نفسى، فقال «يا أبا هريرة» قلت : لبيك يا رسول الله قال «الحق» ومضى، فاتبعته فدخل فاستأذن، فأذن له فدخل فوجد لبنا فى قدح، فقال «من أين هذا اللبن» قالوا : أهداه لك فلان أوفلانة، قال «ياأبا هريرة» قلت : لبيك يارسول الله، قال : «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى»، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على اهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فأتيتهم فدعوتهم، فاقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال : «يا أبا هريرة» قلت : لبيك يارسول الله، قال : «خذ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه

على يده، فتبسم فقال «يا أبا هريرة» قلت : لبيك يارسول الله، قال« وبقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يارسول الله، قال «اقعد فاشرب» فشربت، فقال «اشرب» فشربت، فمازال يقول «اشرب» حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا، قال «فارنى» فاعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة» رواه البخارى وغيره. وجاء فى حديث لأبى هريرة أن أهل الصفة كانوا سبعين صحابيا، قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد حصرهم فى هذا العدد، بل المراد عدتهم فى أول الأمر، وإلا فمجموعهم أضعاف ذلك، وقد سرد أبو نعيم أسماءهم فى أول الحلية فزادوا على المائة، وأما أصحاب الأسباب فمعظم الصحابة، فالأنصار كانوا أهل نخل وزرع، والمهاجرون أهل تجارة وفيهم الخلفاء الأربعة إلا عليا عليه السلام فإنه كان على حال النبى ﷺ من الزهد وترك الأسباب إلا فى القليل النادر، ولذا كان من أوصافه اللازمة له لزوم الشجاعة والعلم ، زهده.

الفتـــوة

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد: الفتوة كف الأذى، وبذل الندى «وقال أبو القاسم القشيرى: أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً فى أمر غيره، ونقل عن شيخه الأستاذ أبى بكر الدقاق أنه قال: هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ ، فإن كل أحد فى القيامة يقول : نفسى نفسى: وهو ﷺ يقول «أمتى أمتى»: ثم استدل القشيرى لهذا الخلق بما رواه بإسناده عن أبى هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول ا لله ﷺ قال «لا يزال الله فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخية المسلم».

وهذا الحديث رواه الطبرانى أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ المنذرى، وفى صحيح مسلم والسنن الأربعة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد[١] فى عون أخيه» وفى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم

---

(١) رواه عبد الغافر الفارسى في الأربعين بلفظ «مادام». (ف).

القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »: وهذا الخلق - أعنى الفتوةَ - مرجعُه إلى سخاوة النفس ، وهو شرط فى المريد كما قال جدنا العارف الكبير أبو العباس أحمد بن عَجيبةَ الحسنى فى شرح المباحث الأصلية، فقد قالوا : من أقبح القبيح صوفى شحيح، ثم هو يشتمل على عدة معان « الأول » : الإيثار. وقد مدحه الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) وسبب نزول هذه الآية ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أصابنى الجهد : فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ « من يضم أو يضيف هذا؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت : ماعندنا إلا قوت صبيانى، فقال هيئ طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانى إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته، فجعلا يريانه كأنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال « ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما » فانزل الله (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الرجل الذى اشتكى الجهد هو أبو هريرة والأنصارى الذى ضيفه هو أبو طلحة، وروى ابن مردويه فى تفسيره عن ابن عمر : (أهدى لرجل رأس شاة، فقال إن أخى وعياله أحوج منا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجعت الى الأول بعد سبعة فنزلت الآية، قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله)، اهـ ومن أروع مواقف الإيثار عند الصوفية ما حكاه الجلال المحلى فى شرح جمع الجوامع فقال : (ولا التفات لمن رماهم فى جملة الصوفية بالزندقة عند خليفة السلطان حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبى ثور شيخه، وبسط لهم النطع فتقدم من آخرهم أبو الحسن النورى للسياف فقال له : لم تقدمت؟ فقال : أوثر أصحابى بحياة ساعة ، فبهت، وأنهى الخبر للخليفة، فردهم الى القاضى فسأل النورى عن مسائل فقهية فأجابه عنها، ثم قال - أى النورى - : وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله ، الخ كلامه فبكى القاضى وأرسل للخليفة يقول : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم ، فخلى سبيلهم رحمهم الله ونفعنا بهم) .اهـ والخليفة هو أبو الفضل جعفر المقتدر، والقاضى هو الإمام إسماعيل بن إسحق

أحد أئمة المالكية.

«الثانى» هدية المريد إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسنة، أما القرآن فقوله تعالى (**يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة**) الآية. قال على عليه السلام: لما نزلت هذه الآية قال لى النبى ﷺ «ماترى؟ ديناراً» قلت لا يطيقونه، قال «فنصف دينار» قلت: لا يطيقونه قال «فكم؟» قلت شعيرة، قال «إنك لزهيد» قال فنزلت (**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات**) الآية، قال: فبى خفف الله عن هذه الأمة، : رواه ابن جرير والترمذى وحسنه، وقوله: شعيرة، يعنى وزنها من ذهب، وقال على أيضا: إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها احد ولا يعمل بها أحد بعدى آية النجوى (**يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول**) الآية، قال: كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبى ﷺ، فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدى نجواى درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت (**أأشفقتم أن تقدموا**) الآية، رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وسلمه الذهبى، وروى الطبرانى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال نزلت فى (**يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول**) الآية، فقدمت شعيرة، فقال رسول الله ﷺ «إنك لزهيد» فنزلت (**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات**) وفى سنده راو مختلف فيه، ويمكن الجمع بينه وبين الأول بأن كلا من على وسعد لم يطلع على قصة الآخر، فتكلم بحسب ما فى علمه وعن ابن عباس فى قوله تعالى (**فقدموا بين يدى نجواكم صدقة**) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام، فلما قال ذلك، جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات**) الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق.

يؤخذ من هذا أن تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول كانت واجبة ثم نسخت، وإذا نسخ وجوب شئ بقى استحبابه بل سنيته، كما فى صوم عاشوراء كان واجبا ثم نسخ برمضان فبقى سنة، وأما السنة فما ثبت بالتواتر فى قضايا متعددة أن الصحابة كانوا يهدون للنبى ﷺ ثيابا وطعاما وغيرهما، وكان يقبل هديتهم وتقدم قريبا حديث أبى هريرة فى أهل الصفة، وفيه :إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، وفى مسند أحمد بإسناد صحيح

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وفي المسند أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه ، فإن قيل : هدية أكل ، وإن قيل صدقة قال « كلوا » ولم يأكل ، بل أمر عليه الصلاة والسلام بقبول الهدية ونهى عن ردها، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت عمر يقول كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو إليه أفقر مني، فقال « خذه، إذا جاءك من هذا المال شئ وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذه فتموله فإن شئت كله وإن شئت فتصدق به، ومالا فلا تتبعه نفسك » قال سالم بن عبد الله : فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاولا يردشيئا أعطيه، وفي المسند بإسناد رجال ثقات عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : أهدى عبد الله بن عامر إلى عائشة رضي الله عنها نفقة وكسوة، فقالت للرسول : أى بنى لا أقبل من أحد شيئاً ، فلما خرج الرسول قالت ردوه على، فردوه فقالت : إنى ذكرت شيئا، قال لى رسول الله ﷺ : « يا عائشة من أعطاك عطاء بغير مسألة فاقبليه، فانما هو رزق عرضه الله عليك » وفي المسند أيضا باسناد صحيح عن أم سلمة رضى الله عنها أن امرأة أهدت إليها رجل شاه تصدق بها عليها – أى على المرأة – فأمرها النبي ﷺ أن تقبلها وفي المسند أيضا باسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من آتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله إليه » فهذه الأدلة المتعددة وغيرها مما لم نذكره اختصاراً مستند شيوخ الصوفية – على ممر الزمان – في قبول هدايا المريدين من نقود وثياب وطعام وغير ذلك ، ثم هم ينفقونها على الزوار في البيت أو الزاوية فتكون منفعتها عامة ، وبذلك يعظم ثواب المهدى ويكثر أجره، أضف إلى ذلك أن الهدية – وإن قلت قيمتها – توجد محبة ومودة بين المهدى والمهدى إليه، كما قال ﷺ « تهادوا تحابوا » رواه أبو يعلى عن أبي هريرة باسناد جيد ، وله طرق، ولا شك أن المريد إنما ينتفع في السلوك على قدر حب شيخه له وعنايته به ، بل كل طالب علم من العلوم لا يدرك من العلم غايته، إلا بقدر حب أستاذه له، وعنايته بتعليمه، ومن الحكم السائرة : « من عرف ما طلب ، هان عليه ما بذل » .

« الثالث » : الضيافة ، والأحاديث في الأمر بها والحض عليها كثيرة بالغة حد التواتر المعنوى، ويكفى حديث الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقد جعلها الظاهرية فرضاً على الحضرى والبدوى والفقيه والجاهل، والجمهور على أنها

سنة مرغب فيها وهى من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والصوفية - خصوصاً الشاذلية - فى القيام بحقها القدح المعلى ، فزوايا الشاذلية فى مدن المغرب وقراه معدة لاستقبال الضيوف ، لا ينزل بها غريب إلا لقى أهلا يكرمونه ويتحفونه، وإن كان فى حاجة إلى مساعدة مدوه بها وذلك بأن يجمع مقدم الزاوية من الفقراء - الدراويش - مبلغاً من المال يقدمه للضيف عند سفره، وإن كان من أهل الطريق، أوذوى الفضل والعلم تسابقوا إلى إكرامه فى بيوتهم، ومهاداته بما يليق به، والمقصود أن الزوايا عندنا أشبه بالفنادق العامة المعدة لا ستقبال النزلاء، إلا أنها لا تأخذ أجراً، بل تساعد من يرجو المعونة، وتهادى من يستحق التكريم، هذا إلى ما يقوم به أصحابها من عيادة المرضى وتشييع الجنائز، وإقامة حفلات للمولد النبوى الشريف تكون خيراً وبراً للمساكين والضعفاء بما يتناولون من طعام وصدقات، هذا بعض فضل التصوف ومزاياه فى القطر المراكشى ، قبل أن تكثر فيه النزعة الوهابية، مع ابتلائه بالأحزاب السياسية التى فرقت بين أهله وجعلتهم شيعا وفرقاً، وبثت فيه جرثومة التحلل من الأخلاق والدين، نسأل الله اللطف والسلامة.

« الرابع » : صلة الإخوان والأقارب وغيرهم بمختلف أنواع الصلات المادية والأدبية، وفى ذلك أحاديث كثيرة تفوق الحصر، منها ما تقدم قريباً، ومنها ما فى أوسط معاجم الطبرانى عن عمر عن النبى ﷺ « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته » ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر ولفظه « أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضى عنة ديناً » وله طرق وألفاظ متعددة، وأهل التصوف مضرب المثل فى التواصل والتعاون ، ومساعدة أصحاب الحوائج فى قضائها، وكان النبى ﷺ عناهم بقوله « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبرانى من حديث ابن عمر، وله طرق، وممن أخذ من هذا الخلق بالحظ الأوفر مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فقد كان لا يمر عليه يوم دون أن يقضى ديناً عن مدين، أو يدفع أجرة عن شخص تأخر فى دفع الإيجار، أو يكسو فقيرا ليس عنده ثياب، وإذا كان له أولاد كساهم معه، أو يُصلح بين متخاصمين طالت خصومتهما واشتد عداؤهما فيدعهما أخوين متحابين، أو يشفع عند الحاكم فى مظلوم، على أن يبعث رسولا من طرفه فما مشى إلى حاكم قط، ولقد أنقذ بشفاعته

شخصاً من الإعدام حكمت به عليه الحكومة الأسبانية الغاشمة لاتهامه بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم، ويتعاهد بيوتاً كثيرة فى الأعياد والمناسبات كزكاة الفطر واللحم فى عيد الأضحى وغير ذلك، أما تصدقه بالثياب التى عليه وقعوده فى البيت حتى يتيسر له غيرها فقد حصل منه مرات عديدة حتى كان بعض الإخوان ممن له عليه دالة يعتب عليه فى ذلك فيظهر له من الثقة بالله والتوكل عليه ما يحمله على تشجيع الشيخ فى الاستزادة من التصدق والإعطاء.

هذه أخلاق الصوفية كما شاهدناها عياناً، وقرأنا عنها فى كتب التراجم والطبقات، فاذا وجد فى شيوخ الطريقة من هو على ضد هذه الخصال، فهو دعى دخيل، والتصوف برئ منه ومن أمثاله، ويجب هنا أن نعرض لرد مسألة طالما تشدق بها المنتقدون للتصوف، ذلك أنهم يزعمون أن الصوفية أصحاب كسل وخمول وتواكل ، وأن الاسلام يدعو الى العمل والكسب والسعى فى طلب الرزق، وهذا كلام من قصر نظره على الجانب المادى الضيق المحدود ، وانصرف عن الجانب الروحى الواسع الشامل، مع أن الإسلام راعى الجانبين، وأعطى لكل منهما حظه من العناية والاعتبار، بل غلب الجانب الروحى لأنه أعم وأبقى، وأسباب الرزق كما تكون مادية للعوام كالتجارة والصناعة مثلا ، تكون روحية للخواص كالصلاة والتقوى، قال تعالى (**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك**) وقال (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**).

وقال ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢** ﴾ [نوح: ١٠-١٢] وتقدم أن أهل الصفة كانوا أكثر من مائة، لا أهل لهم ولا مال، وكان النبى ﷺ ينفق عليهم، ولم يقل لهم : تكسبوا واسعوا على رزقكم بالتجارة وغيرها، نعم لم يقل لهم هذا أصلا، بل دافع الله تعالى عنهم، حين قال المنافقون فى حقهم (**لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**) فرد الله عليهم بقوله (**ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون**) وهذا شرف عظيم لأهل الصفة، ينطوى على التنوية بما كانوا عليه من الانقطاع للعبادة والتفرغ لها، أما مارواه أبو داود فى مراسيله عن أبى قلابة أن ناساً من الصحابة قدموا يثنون على صاحب لهم خيراً، قالوا : مارأينا مثل فلان قط، ما كان فى مسير إلا كان فى

قراءة ولا نزلنا منزلا إلا كان فى صلاة. قال رسول الله ﷺ «فمن كان يكفيه ضيعته؟» حتى ذكرو من كان يعلف جمله أو دابته؟ قالوا: نحن، قال «فكلكم خير منه»، فهو حديث ضعيف؛ لأنه مرسل، وعلى فرض صحته فهو محمول على أن ذلك الشخص كان يستخدم غيره فى شئونه الخاصة به كعلف دابته، وتهيئة مكان نومه، وإعداد طعامه، ونحو ذلك كما هو صريح الحديث، وليس من المروءة أن يستخدم الشخص غيره فى مثل ذلك، بل يقوم هو بنفسه بإعداده لا سيما فى السفر المبنى على التعاون التام، ألا ترى إلى النبى ﷺ حين أراد الصحابة - وكانوا معه فى سفر - أن يطبخوا طعاماً لغدائهم، وتعهد بعضهم بذبح الشاة، وآخر بسقى الماء، فتعهد هو ﷺ بجمع الحطب، فقال الصحابة: نكفيك هذا يارسول الله، قال «علمت أنكم تكفونى ذلك ولكن كرهت أن أتميز عنكم» أو كما قال، وهذا من كمال المروءة، وآداب الصحبة والمعاشرة، وهو بمعزل عما نحن فيه، فالذين يستدلون بذلك الحديث المرسل على الكسب والسعى مخطئون فى فهمه، مع غفلتهم عن ضعفه، ومما يؤيد ما نقول حديث أنس قال: كان أخوان على عهد النبى ﷺ، فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ، والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه الى النبى ﷺ، فقال «لعلك ترزق به» رواه الترمذى، صححه الحاكم وسلمه، فالنبى ﷺ أخبر الأخ المحترف بأن الله يرزقه ببركة إنفاقه على أخيه المتفرغ للعبادة وملازمة الرسول وليس بعد بيان الله ورسوله بيان(١).

الأولياء

قال الله تعالى ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. قال الزمخشرى فى الكشاف: الولى من تولى الله بالطاعة، فتولاه الله بالكرامة، وقال السعدفى شرح العقائد النسفية، والجلال المحلى فى شرح جميع الجوامع: الولى العارف بالله حسبما

(١) بل الحال المثلى فى الإسلام: أن يُجمع بين الكسب والعبادة، إذ هو مقام المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه، وكذلك هو حال رسل الله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - وهم أفضل الخلق لا محالة، وما زال المحققون من العلماء يفتون بذلك ترويحًا للنفس وتنشيطًا لها على العبادة، على أن الكسب فى الحقيقة ما هو إلا عبادة لله تعالى، وإلا لما اعتبره النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - جهادًا، ينال به المسلم رضى الله وغفرانه، وللإمام السرخسى - رحمه الله تعالى - كتاب حسن فى الكسب ضمنه تحقيق هذه المسألة، فليرجع إليه ولغيره من الكتب من أراد تحقيق المسألة. والله الموفق.

يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات، وقيل : الولى من يحب أخاه المؤمن لا يحبه إلا لله، وقيل : غير ذلك؟

وهذه الاقوال – وإن كانت فى الظاهر مختلفة – فهى فى الحقيقة متفقه، إذ ما من ولى إلا وهو متصف بما ذكر فيها من الصفات، ومتسم بغيرها من كريم الخلال والسمات، وجاءت الأحاديث فى هذا الباب مختلفة كاختلاف الأقوال وذلك محمول على اختلاف الاحوال، مع قصد الشارع الحض على أنواع من فضائل الاعمال، ونحن نورد منها ما تيسر :

١ – عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب» الحديث، وتقدم أول الكتاب.

٢ – عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله ناسا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يارسول الله ، فخبرنا من هم ؟ قال «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطو نهافو الله إن وجوهم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) . رواه أبو داود فى سننه ، وروى النسائى نحوه عن أبى هريرة، وله طرق كثيرة.

٣ – عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه استحق ولاية الله: حلم أصيل يدفع به سفه السفيه عن نفسه، وورع صادق يحجزه عن معاصى الله ، وخلق حسن يدارى به الناس» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء.

٤ – عن عمرو بن الجموح رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله، فاذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية لله» رواه أحمد فى المسند.

٥ – عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ من هم أولياء الله؟ قال «هم الذين يذكر الله عند رؤيتهم» رواه النسائى والبزار، ورواه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وغيرهما عن سعيد بن جبير مرسلا وله طرق ، منها عن أنس قال قالوا : أينا أفضل؟ كى نتخذه جليسا معلما، قال «الذى إذا رؤى ذكر الله برؤيته» رواه الحكيم الترمذى.

٦ - عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ماجبل ولى لله عز وجل إلا على السخاء وحسن الخلق » رواه أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب .

٧ - عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : حقت محبتى للمتحابين فى ، وحقت محبتى للمتزاورين فى ، وحقت محبتى للمتجالسين فى، الذين يعمرون مساجدى بذكرى، ويعلمون الناس الخير، ويدعونهم إلى طاعتى ، أولئك أوليائى الذين أظلهم فى ظل عرشى، وأسكنهم فى جوارى، وأؤمنهم من عذابى وادخلهم الجنة قبل الناس بخمسمائة عام، يتنعمون فيها وهم خالدون » ثم قرأ نبى الله ﷺ (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) رواه ابن مردويه فى تفسيره .

٨ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى، فقطع نهاره فى ذكرى، ولم يبت مصراً على خطيئته يطعم الجائع، ويكسو العارى، ويرحم الضعيف، ويؤوى الغريب، فذاك الذى يضئ وجهه كما يضئ نور الشمس، يدعونى فألبى، ويسألنى فاعطى، ويقسم على فابر قسمه، أجعل له فى الجهالة علما، وفى الظلمة نوراً، أكلأه بقوتى، واستحفظه ملائكتى » رواه أبو نعيم فى الحلية والبزار بنحوه، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، يستخلص الباحث من مجموعها أن الولى من تولى الله بأنواع القرابات، فتولاه الله بانواع من المواهب والمكرمات ، ونلحق بالأحاديث السابقة أثراً جامعا فى وصف الأولياء، رواه أحمد فى الزهد، وابن أبى حاتم فى التفسير، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: قال الحواريون : ياعيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى - عليه السلام - : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالا، وذكرهم إياهم فواتا، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، وما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، بليت الدنيا عندهم فليس يجددونها، وخربت بينهم فليس يعمرونها، وماتت فى صدورهم فليس يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ويرفضونها فكانوا برفضها

هم الفرحين، وباعوها فكانوا ببيعها هم المربحين، ونظروا إلى أهلها صرعى، قد خلت فيهم المثلات، فأحبوا ذكر الموت وتركوا ذكر الحياة، يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخير العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلا مع ما نالوا، ولا أماني دون ما يرجون، ولا خوفا دون ما يحذرون.

الأبـــدال

وهم طائفة من الأولياء يسمون بهذا الاسم، وقد وردت أحاديث وآثار فى تسميتهم ووصفهم وعلاماتهم وأماكن وجودهم، أفردها الحافظ السيوطى برسالة خاصة سماها «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال»(١)، قال فى خطبتها: وبعد فقد بلغنى عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا، وقد وردت الأحاديث والآثار باثبات ذلك، فجمعتها فى هذا الجزء لتستفاد، ولا يعول على إنكار أهل العناد، ولو فرض أنه لم يرد فى ذلك حديث ولا أثر، وكان مجرد اصطلاح تواطأ عليه الصوفية لما صح إنكاره، لأن كل طائفة من طوائف العلماء كالفقهاء والأصوليين والنحاة والمناطقة وأهل المعانى اصطلحوا على ألفاظ لها معانى خاصة يتفاهمون بها فيما بينهم ودونوها فى كتبهم، وصارت جزءاً من علومهم، ولم يعترض عليهم أحد فى ذلك. فما وجه تخصيص الصوفية بالاعتراض؟! على أن لفظ الأبدال اشتهر فى عهد السلف، ووصف به جماعة من الأئمة، قال الحافظ السخاوى فى المقاصد الحسنة – بعد أن تكلم على بعض طرق حديث الأبدال – : ومما يتقوى به الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول إمامنا الشافعي – فى بعضهم – : كنا نعده من الأبدال ، وقول البخارى فى غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال، ونقل عن يزيد بن هارون – أحد الحفاظ – قال : الأبدال هم أهل العلم ، وعن الإمام أحمد : إن لم يكونوا

---

(١) وهى موجودة في الحاوى، وطبعت مفردة فى مكتبة القاهرة الأزهر وعليها تعليقات مؤلفنا الشيخ عبد الله الغمارى – رحمه الله تعالى – وكل كلام الشيخ عن الأبدال هنا مأخوذ من هذه الرسالة، وأما عن تصحيحه لأحاديث الأبدال ففيه بحث واسع لا يتسع له المقام، والأئمة ابن الجوزى وابن عراق والشوكانى وغيرهم أوردوا كثيراً منها في مؤلفاتهم حاكمين عليها بالوضع. فتنبه!!

أصحاب الحديث فمن هم؟ وممن وصف بأنه من الأبدال : الحسن البصرى، وحماد بن سلمة ، وأبو توبة الحلبى شيخ أحمد بن حنبل، والإمام الشافعى، ومحمد بن واسع ، وحسان بن أبى سنان، ومالك بن دينار، ووكيع بن الجراح، وخالد بن معدان، وغيرهم كثير تجد تراجمهم فى كتب الرجال وطبقات الحفاظ، ومن راجع تذكرة الحفاظ للذهبى، وتهذيب التهذيب لا بن حجر، وجد فيها كثيراً من الحفاظ وصفوا بالبدلية، وبعد هذا فاستمع إلى بعض الأحاديث فى هذا الموضوع :

١ - عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فاذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق » الحديث، رواه أبو داود وأحمد وابن أبى شيبة وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وهو حديث صحيح .

٢ - عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب عليه السلام - وهو بالعراق - فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » رواه أحمد بإسناد صحيح إلا أن فيه انقطاعا بين شريح وعلى[١]، ورواه الحسن بن عرفة وابن عساكر عن شريح أيضا قال : ذكر أهل الشام عند على عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنون العنهم! فقال: لا ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلا، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على أعدائكم، ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق » وفى المستدرك عن عبد الله ابن زرير الغافقى أنه سمع علياً يقول : لا تسبوا اهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسبوا ظلمتهم، صححه الحاكم وسلمه الذهبى، والآثار عن على عليه السلام فى الأبدال كثيرة واردة بطرق متعددة، وهى مرفوعة حكما لأنها مما لا مجال للرأى فيه .

٣ - عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لن تخلو الأرض من أربعين رجلا

(١) على أن شريحا سمع من المقداد وهو اقدم من على، قاله الحافظ الهيثمي فى مجمع الزوائد (ف).

مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » قال سعيد : وسمعت قتادة يقول: لسنا نشك أن الحسن - البصرى - منهم، رواه الطبراني في الأوسط، قال الحافظ الهيثمي : إسناده حسن.

٤ - عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا » رواه أحمد، وهو حديث حسن ، وفي مسند البزار ومعجم الطبراني عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال في أمتى ثلاثون بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون » قال قتادة : إني أرجو أن يكون الحسن منهم، وقوله في هذا الحديث« ثلاثون » لا ينافى أنهم أربعون كما في الأحاديث الكثيرة، لأن العدد لا مفهوم له، أو أخبر انهم ثلاثون ثم أعلمه الله بزيادتهم إلى أربعين.

٥ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « خيار أمتى في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه، وأدخل من الأربعين مكانهم » قالوا : يارسول الله دلنا على أعمالهم، قال« يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله » رواه الطبراني وأبو نعيم وتمام وابن عساكر، وروى الخلال في كرامات الأولياء عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ « لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها » وهذان الحديثان وإن كانا ضعيفين فهما مؤيدان بالأحاديث السابقة وغيرها.

بم استحق الأبدال تلك الرتبة ؟

رتبة البدلية من الرتب العزيزة، لاتنال إلا بشروط بينتها الأحاديث والآثار، فإذا ادعى شخص انه من الأبدال، أو ادعى فيه ذلك، وكان خلواً من تلك الشروط علمنا أن دعواه باطلة، وعرفنا انه من جملة الدخلاء الذين شوهوا التصوف وأهله بما اقترفوا من آثام، فمن شروط الأبدال ما تقدم قريباً : أنهم يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى، وهذه صفات عزيزة قل من يتخلق بها، ومن شروطهم ما جاء في حديث عن على عليه السلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن

الأبدال؟ قال «هم ستون رجلا» فقلت : يا رسول الله حلهم لى، قال « ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن بسخاء الأنفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء، والخلال فى كرامات الأولياء ، وزاد فى رواية أخرى «إنهم يا على فى أمتى أقل من الكبريت الأحمر» وجاء فى حديث أنس عن النبى ﷺ قال «إن دعامة أمتى عصب اليمن وأبدال الشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهالكين ولا المتناوشين، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين» وورد عن الحسن البصرى قال : قال رسول الله ﷺ «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين» رواه الحكيم الترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان وغيرهما. وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء عن بكر ابن خنيس رفعه «علامة أبدال أمتى أنهم لا يلعنون شيئا أبداً» فالمبتدعة ومن على شاكلتهم من المتنطعين والمتعمقين والمتزمتين لا نصيب لهم فى رتبة البدلية، وكذلك المتماوتون المتهالكون الذين يتكلفون السمت والوقار. نعم، ولا ينالها اللعانون الطعانون، سفهاء اللسان، خبثاء القلب، ولذا قال الحارث ابن حومل لرجاء بن حيوة – وهما تابعيان – : يارجاء اذكر لى رجلين صالحين من أهل بيسان – بلد بالشام – فانه بلغنى أن الله تعالى اختص أهل بيسان برجلين صالحين من الأبدال، لا يموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً، ولا تذكر لى مهما متماوتاً ولا طعاناً على الأئمة فإنه لا يكون منهما الأبدال، رواه ابن عساكر وغيره. فالأبدال أسخياء سمحاء، سليمو الصدور لا يحملون حقداً ولا غشا، أعفاء اللسان لا يلعنون ولا يسبون وهم – إلى جانب هذا – إيجابيون فى الحياة، يرحمون المسلمين، وينصحونهم ويسعون فى إيصال الخير لهم، وببركاتهم وتوجهاتهم ينزل الغيث، ويكشف الكرب، ويحصل النصر على الأعداء ، لا جرم إن كان انقراضهم فى آخر الزمان إيذاناً بانقراض الخير، وانتهاء الدنيا، كما جاء فى حديث عن أنس مرفوعا « فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة » رواه الترمذى الحكيم وابن شاهين وابن عدى وغيرهم.

«النجباء والنقباء والأوتاد والغوث»[(١)]

هذه رتب في الولاية اصطلح عليها الصوفية، وهي ماخوذة عن سلف الأمة وأئمتها، فعن أبي الطفيل - وهو صحابي - عن علي عليه السلام قال: الأبدال بالشام ، والنجباء بالكوفة ، رواه ابن عساكر، وروى عنه أيضا قال : الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق، وروى ابن عساكر أيضا عن أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت أبا سليمان يقول : الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق، وروى هو والخطيب البغدادى عن الكتاني قال : النقباء ثلاثمائة ، والنجباء سبعون ، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته، العمد بضم العين والميم هم الأقطاب، وهم أربعة في كل وقت ، والعصب بضم العين وفتح الصاد، ويقال : عصائب كما تقدم في حديث أم سلمة، طائفة من الزهاد كما في النهاية وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو حاتم الرازى - الإمام العلم - حدثنا عثمان بن مطيع حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبو الزناد - أحد شيوخ الإمام مالك - : لما ذهبت النبوة - وكانوا أوتاد الأرض - أخلف الله مكانهم - يعني الأنبياء - أربعين رجلا من أمة محمد ﷺ ، يقال لهم الأبدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض ، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام، ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية، ولكن بصدق الورع، وحسن النية، وسلامة القلوب، والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله، بصبر حليم ، ولب رحيم، وتواضع في غير مذلة، لا يلعنون أحدا، ولا يؤذون أحدا، ولا يتطاولون على

---

(١) الأحاديث المذكورة تحت هذا العنوان أحاديث واهية وموضوعة، لا يجوز عند أهل الحديث روايتها إلا لبيان وضعها فكيف بالمؤلف - رحمه الله تعالى - يذكرها محتجاً بها.

ثم أعلم أنه ليس لأحد من الناس أن يعترض على الصوفية ما اصطلحوا عليه، إذ لأهل كل فن أن يصطلحوا على ما شاءوا ما دامت المعاني صحيحة موافقة لأصل الشرع، لأنه لا تأثير للألفاظ عند اتحاد المدلول.

أحد تحتهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون أحداً فوقهم، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين ، لا يحبون للنيا، ولا يحبون الدنيا، ليسوا اليوم فى وحشة، ولا غداً فى غفلة.

الكرامات

اتفق أهل السنة على إثبات الكرامات وأن الله يخص بها بعض أوليائه، للأدلة الدالة على وقوعها فى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة بل المتواترة، قال الإمام أبو الحسن الأشعرى – إمام الأشاعرة – فى كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» : جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون من ذلك شيئا، وذكر العقيدة إلى ان قال: وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وقال فى آخر العقيدة: فهذه جملة ما يأمرون به، ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، ونقله الحافظ ابن القيم فى كتابه «حادى الأوراح إلى بلاد الأفراح» وقال الإمام الحافظ القدوة محيى الدين النووى فى كتابه «بستان العارفين» : اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة فى الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول، وصرائح النقول، أما دلائل العقل فهى أمر يمكن حدوثه ، ولا يؤدى وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين ، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع، وأما النقول فآيات فى القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة. وفى شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى : ظهور كرامات الأولياء، تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء ، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، وإنما العجب من بعض فقهاء السنة حيث قال فيما روى عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأو ه بالبصرة يوم التروية، وفى ذلك اليوم بمكة – : أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفى حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور أحداً من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال : نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة، وليت شعرى ماذا كان يقول ذلك الفقيه المتسرع إلى الإكفار لو رأى مخترعات اليوم، وشاهد الطائرة تنقل الشخص فى بضع ساعات مسافات كانت تقطع فى شهور، فإذا

كان العلم وصل إلى هذا وأكثر منه فكيف نستبعده على قدرة الله تعالى؟!! ومما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردة فى كتبهم رأى العجب!! من ذلك قولهم من صغر عمامة العالم فقال عميمة فانه يكفر!! لأنه صغر ما عظم الله!! ومما ثبت بالشهرة ما حكاه العلامة أحمد بابا التنبكتى المالكى فى «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» عن الشيخ عبد الخالق التونسى عن شيخه شعيب بن الحسن الأندلسى الشهير بأبى مدين الغوث - وهو شيخ ابن العربى الحاتمى - قال سمعت أن رجلا يسمى موسى الطيار يطير فى الهواء، ويمشى على الماء، وكان رجل يأتينى عند طلوع الفجر فيسألنى عن مسائل الناس، فوقع لى ليلة أنه موسى الطيار الذى أسمع به، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذى يسألني، فقلت له : أنت موسى الطيار، قال نعم، ثم سألنى وانصرف، ثم جاءنى مع آخر، فقال لى : صليت الصبح ببغداد، وقدمنا مكة فوجدناهم فى الصبح فأعدنا معهم وبقينا فى مكة حتى صلينا الظهر فجئنا القدس، فوجدناهم فى الظهر، فقال صاحبى هذا : نعيد معهم فقلت : لا فقال : ولم أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخى يفعل، وبه أمرنا، فاختلفنا قال أبو مدين: فقلت لهم : أما إعادة الصبح بمكة فانها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوى من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهى أم القرى فلا تعاد فى غيرها، قال : فقنعا به وانصرفا.

والمقصود أن كرامات الأولياء أجمع على إثباتها علماء السنة، ووافقهم من المعتزلة أبو الحسين البصرى، وقد أفرد هذا الموضوع بالمؤلفات الكثيرة، وكتابنا «الحجج البينات فى إثبات الكرامات» مهم جداً ينبغى مراجعته، ففيه مالا يوجد فى غيره، مع تخريج الأسانيد، وتوخى الصحة بغاية الدقة ونشير هنا إلى بعض الأدلة توفية للبحث حقه.

١ - الأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد مدعى النبوة فاما أن يكون قبل النبوة أو بعدها، فإن كان قبلها كشق صدره الشريف، وإظلال الغمامة له فى مسيره إلى الشام، سمى إرهاصا وإن كان بعدها فإما أن يكون مصحوبا بالتحدى كالقرآن وانشقاق القمر، فيسمى معجزة. وإما أن يكون غير مصحوب بالتحدى كحنين الجذع ونبع الماء من الأصابع الشريفة، فيسمى آية، وإن ظهر الخارق للعادة على يد مدعى النبوة بخلاف

مراده سمى إهانة، مثل ماروى أن مسيلمه الكذاب دعا لأعور بان يفتح الله عينه، فعمى. ومسح بيده رأس يتيم، فقرع. وبلغه أن النبى ﷺ تفل فى بئر فكثر ماؤها وعذب، بعد أن لم يكن كذلك، فتفل هو فى بئر ليعذب ماؤها فصار ملحا أجاجاً، وإن ظهر الخارق على يد مؤمن صالح فهو الكرامة، أو على يد فاسق كالساحر مثلا فهو استدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصاله من محنة أو مكروه، ويسمى معونة.

٢ - قولهم : « ماوقع معجزة لنبى، جاز أن يكون كرامة للولى » محمول على الآيات التى لم يقع بها التحدى، أما المعجزة التى وقع بها التحدى كالقرآن الكريم فلا. نبه على هذا المعنى العلامة الأبى فى شرح مسلم، ونحوه قول القشيرى: إن كرامات الأولياء لا تنتهى إلى نحو ولدٍ دون والد ا هـ يشير إلى ولادة عيسى عليه السلام فهى آية من الله لنبيه ولأمه بسببه كما قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وقال تعالى (**قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس**).

٣ - فى القرآن الكريم آيات تثبت كرامات الأولياء، منها قصة أصحاب الكهف ونومهم أكثر من ثلاثة قرون . الخ ما قصه الله من خبرهم العجيب ولم يكونوا أنبياء ومنها قصة مريم عليها السلام وأن زكريا عليه السلام (**كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**) وقد كانت صديقة بنص القرآن، ومنها فى قصة سليمان عليه السلام قول الذى عنده علم من الكتاب (**أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**) وأتى به فى غمضة عين أى سرير ملكة سبأ. وأما الأحاديث فكثيرة جداً نذكر منها عشرة كلها صحيحة.

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما - أى لا أقدم فى شرب اللبن عليهما - أهلا ولا مالا .

فنأى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج» قال النبى ﷺ « قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فاردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يتسطيعون الخروج منها» قال النبى ﷺ «وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين، فقال لى : يا عبد الله اد إلى أجرى فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت : إنى لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فانطلقوا يمشون» . رواه البخارى ومسلم .

٢ ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى جاءته أمه فدعته، فقال : أجيبها أو أصلى، فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام؟ فقال : الراعى . وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها فأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه» قال أبو هريرة كأنى أنظر الى النبى ﷺ يمص أصبعه، « ثم مر بأمة، فقالت : اللهم لا تجعل

ابنى مثل هذه، فترك ثديها وقال : اللهم اجعلنى مثلها، فقالت له ذلك، فقال : الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون : سرقت زنتْ، ولم تفعل » رواه البخارى ومسلم.

٣ – عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسْلفه ألف دينار، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم، قال : كفى بالله شهيداً، قال : فائتنى بالكفيل، قال : كفى بالله كفيلا، قال : صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألنى كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا، وسألنى شهيداً فقلت : كفى بالله شهيداً، فرضى بك، وإنى جهدت أن أجد مركباً أبْعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى أستودعكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها حطبا لأهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله مازلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذى أتيت فيه ، قال : هل كنت بعثت إلىّ بشئ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه، قال : فان الله قد أدى عنك الذى بعثت الخشبة، وانصرف بالألف دينار راشداً » رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن حبان وغيرهم.

٤ – عن أبى هريرة أيضا ان النبى ﷺ قال « بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه فى حرة، فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ قال : فلان، للاسم الذى سمع فى السحابة فقال له ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال : إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال : أما إذ قلت هذا فإنى انظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه، وآكل انا وعيالى ثلثاً،

وأرد فيها ثلثه » رواه مسلم في صحيحه.

٥ – عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بى مرت بى رائحة طيبة، فقلت : ما هذه الرائحة؟ قالوا ما شطة بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها من يدها، فقالت : بسم الله، فقالت ابنة فرعون : أبى؟ قالت : ربى هو ربك ورب أبيك، قالت : أولك رب غير أبى؟ قالت : نعم، فدعاها فقال : ألك رب غيرى؟ قالت : نعم، ربى وربك الله ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها، فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم، فقال : قعى يا أمة ولا تقاعسى، فإنك على الحق» رواه أحمد وابن أبى شيبة والبزار وأبو يعلى والبيهقى، وصححه الحاكم وابن حبان وغيرهما.

٦ – عن أبى سعيد الخدرى أن أسيد بن حضير بينما هو يقرأ ليلة فى مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى – ابنه – فقمت إليها فإذا هو مثل الظلة فوق رأسى، فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربد لى، إذ جالت فرسى، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا ابن حضير » قال: فقرأت ثم جالت أيضا فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال: فقرأت ثم جالت أيضا، فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال : فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ « تلك الملائكة كانت تتسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » رواه الشيخان، ورواه مسلم من حديث البراء بن عازب.

وكان أسيد بن حضير حسن الصوت كما فى رواية أبى عبيد عن أبى بن كعب، وجاء فى رواية الإسماعيلى أن النبى ﷺ قال له « اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود » وكان يقرأ فى تلك الليلة سورة البقرة كما فى رواية البخارى، ووقع نظير هذه الكرامة لصحابى آخر اسمه ثابت بن قيس بن شماس، فروى أبو عبيد فى فضائل القرآن عن جرير بن يزيد : أن أشياخ أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ ! قال « فلعله قرأ سورة البقرة» قال : فسئل ثابت، فقال : قرأت سورة البقرة.

٧ – عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبيد كل منهما عصاه، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله ، رواه عبد الرزاق وهذا لفظه وأحمد والبخارى والحاكم وغيرهم، وفي رواية للأخيرين تعيين الرجل من الأنصار بأنه عباد بن بشر.

٨ – روى مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصارى – والد جابر – كانا في قبر واحد – وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر السيل قبرهما فحفر عليهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه، فدفن وهو هكذا فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما سته وأربعون سنة وروى البغوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجرى عينا إلى أحد فكتب إليه عامله : إنها لا تجرى إلا على قبور الشهداء فكتب إليه : أن انفذها قال جابر : فرأيتهم – يعنى شهداء أحد – يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعثت دماً وهذه القصة بلغت حد الاستفاضة أو التواتر لأن عامل معاوية نادى في المدينة يحض الناس أن يخرجوا لنقل موتاهم فخرج من لا يحصى من الأنصار وغيرهم وشاهدوا هذه الكرامة العجيبة بعد بضع وأربعين سنة من استشهادهم رضى الله عنهم.

٩ – روى مالك في الموطأ بإسناد على شرط الصحيحين أن أبا بكر رضى الله عنه استرجع عند وفاته أرضاً كان وهبها لعائشة رضى الله عنها وقال – يطيب خاطرها –: إنما هما أخواك وأختاك أى لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم إخوتك قالت لأبيها رضى الله عنهما : إنما هى أسماء فمن الأخرى؟ – أى ليس لى أخت غير أسماء فمن الثانية؟ فأجابها الصديق رضى الله عنها : ذو بطن بنت خارجة – هى امرأته وكانت حاملا – أراها جارية فولدت بعد وفاته بنتا.

١٠ – روى الطبرانى بإسناد رجاله رجال الصحيح – كما قال الحافظ الهيثمى – عن

سعيد بن عبد العزيز أن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أقسم يوم أحد فهزم المشركون وأقسم يوم الجمل - اسم موقعة - فغلبوا أهل البصرة وقيل له يوم صفين - بكسر الصادر والفاء المشددة موضع كان فيه قتال بين على عليه السلام وبين معاوية - لو أقسمت فقال لو ضربونا بأسيافهم حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل فلم يقسم فقتل يؤمئذ وقال يوم أحد : أقسمت يا جبريل ويا ميكال لا يغلبنا معشر ضلال، إنا على الحق وهم جهال. وقد أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « كم من ذى طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبره منهم عمار بن ياسر ». وباب الكرامات بحر خضم مترامى الأطراف، وفى كتابنا « الحجج البينات فى إثبات الكرامات » استيفاء بالغ لكثير من أنواعها المتعددة فعليك بقراءته.

« حلقات الذكر »

للحافظ السيوطى رضى الله عنه فى هذا الموضوع رسالة اسمها « نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر » قال فى أولها :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أولا؟ الجواب : أنه لا كراهة فى شئ من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار به، والجمع بينهما : أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووى بمثل ذلك بين الأحادث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها. ثم أورد خمسة وعشرين ما بين حديث وأثر، نقتطف منها ما يلى :

١ - روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملائه » قال والذكر فى الملإ لا يكون إلا عن جهر، قلت : والحديث رواه بقية الستة إلا أبا داود.

٢ - روى البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا وإذا ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير

من الذين تذكرني فيهم».

٣ – روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بنيهم وبين السماء، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل – وهو أعلم – من أين جئتم؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال : فما يسألونى؟ قالوا : يسألونك جنتك، قال : وهل رأوا جنتى؟ قالوا : لا أى رب، قال : وكيف لو رأوا جنتى؟ قالوا : ويستجيرونك، قال: وِمَ يستجيرونى؟ قالوا: من نارك يارب ، قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا يارب، قال : فكيف لو رأوا نارى، قالوا : ويستغفرونك، قال: فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال: يقولون : يارب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم، فيقول : وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

٤ – روى البيهقى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: يارسول الله وما رياض الجنة، قال «حلق الذكر» قلت : رواه الترمذى وحسنه.

٥ – روى الطبرانى وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ – وهو فى بعض أبياته – (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى**) الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم» وروى أحمد فى الزهد عن ثابت قال: كان سلمان فى عصابة يذكرون الله، فمر النبى ﷺ فكفوا، فقال «ما كنتم تقولون؟» قلنا: نذكر الله، قال «إنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها» ثم قال «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم» قلت : للحديث طرق كثيرة.

ثم قال السيوطى: إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها انه لا كراهة البتة فى الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً، وأما

معارضته بحديث « خير الذكر الخفى » فالجمع بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذى به مصلون، أو نيام، والجهر فى غير ذلك أفضل، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه، ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم، ويزيد فى النشاط، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث، فإن قلت : قال: الله تعالى **(واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول)** قلت : الجواب من ثلاثة أوجه « أحدها » أنها مكية كآية الإسراء **(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)** وقد نزلت حين كان النبى ﷺ يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله، فامر بترك الجهر سداً للذريعة، كما نهى عن سب الأصنام لذلك فى قوله تعالى **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)** وقد زال هذا المعنى الآن، أشار إلى ذلك ابن كثير فى تفسيره. « الثانى » أن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حالة قراءة القرآن، وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيما للقرآن أن ترفع عنده الأصوات، ويؤيده اتصالها بقوله **(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)** « الثالث » ماذكره الصوفية أن الأمر فى الآية خاص بالنبى ﷺ الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً فى دفعها. فإن قلت : فقد قال تعالى **(ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)** وقد فسر الاعتداء بالجهر فى الدعاء ، قلت: الجواب من وجهين « أحدهما » أن الراجح فى تفسيره أنه تجاوز المأمور به، أو اختراع دعوة لا أصل لها فى الشرع، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه عن أبى نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إنى أسالك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فقال: أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء » فهذا تفسير صحابى وهو أعلم بالمراد، « الثانى » على تقدير التسليم فالآية فى الدعاء لا فى الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه السر، لأنه أقرب إلى الإجابة، ولذا قال تعالى: **(إذ نادى ربه نداء خفياً)** ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة فى الصلاة اتفاقاً، لأنها دعاء، فإن قلت: فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت فى المسجد، فقال: ما أراكم إلا مبتدعين ، حتى أخرجهم من المسجد. قلت : هذا الأثر يحتاج إلى بيان سنده، ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ فى كتبهم، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة، وهى مقدمة عليه عند التعارض، ثم

رأيت ما يقتضى إنكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد فى كتاب الزهد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودى عن عامر بن شقيق عن أبى وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر، ما جالست عبد الله مجلسا قط إلا ذكر الله فيه ، وأخرج أحمد فى الزهد عن ثابت البنانى قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شئ.

هذا ملخص رسالة نتيجة الفكر، وهى مطبوعة بتعليقاتى عليها، فليراجعها من أرادها.

الذكر بالاسم المفرد(١)

اعترض بعض الفقهاء على الصوفية عنايتهم بالاسم المفرد، ولهجهم به، زاعما أن الذكر به بدعة، وأنه لا يشتمل على جملة مفيدة مثل الأذكار الواردة نحو لا اله إلا الله. والحمد لله، والله أكبر، وإلى غير ذلك، وقد تولى الرد على هذا الاعتراض مولانا الشيخ الإمام الوالد رضى الله عنه فى بحث واف كاف، ننقله بنصه، من مجموعة فتاوه وبحوثه فى علوم مختلفة ، قال – تغمده الله برضوانه – : الحمد لله، ما نقله الحطاب آخر باب الردة من شرحه لمختصر خليل من أن عز الدين بن عبد السلام سئل عمن يذكر بصيغة : الله الله. مقتصراً على ذلك، هل هو مثل سبحان الله، والحمد لله؟ الخ. فأجاب بقوله: هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد السلف. إلخ مردود من وجوه «أولها» ما ورد فى صحيح مسلم من قوله عليه الصلاة والسلام «لا تقوم الساعة

(١) كلام الصوفية عن الذكر بالاسم المفرد دائر حول دعويين – كما هو صنيع مؤلفنا هنا – الأولى : حول مشروعية الذكر بالاسم المفرد، والثانية : حول جعلهم إياه من أذكار الخاصة من الأولياء.
والحق أن كلاً منهما بدعة فى الدين لا تجوز، وأدلة المؤلف على ذلك لا تثبت بحال، وأرى أن الوقوف فى ذلك يكون عند الوارد، إذ إنه من أسباب جلب الوارد، والصوفى من كان تابعاً للسلف فى معتقده، ورحم الله القائل:

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من خلف

فأى ذكر هو أفضل من قولنا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»، فاتبع سبيل المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار، وسبيل الصادقين فى التوجه إلى رب العالمين، تكن من الأواهين الأوابين، والله يتولانا وإياك ويوفقنا لما فيه رضاه.

حتى لا يبقى من يقول : الله. الله» وفى رواية له «حتى لا يقول أحد : الله.الله» فإن هذا الحديث الشريف شاهد لذكره وتكراره كما ترى، ولاسيما على رواية النصب، وقد رد جماعة من المحققين به على ابن عبد السلام، منهم سيدى عبد القادر الفاسى، والعارف الشعرانى، وابن عبد السلام بنانى، وجماعة يطول ذكرهم «ثانيها» أنا لا نسلم أن الذكر لا يكون إلا جملة، فقد قال تعالى (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) بناء على أن المراد بالدعاء الذكر والتسمية. «ثالثها» أنا وإن سلمنا أن الذكر إنما يكون جملة فقول الذاكر: الله .الله جملة تقديرا، إذ معناه : يا الله، أو الله أعظم، أو الله أكبر، أو نحو ذلك.

وحذف النداء مع المندوب والمضمر والمستغاث جائز اتفاقا كما فى الألفية، «رابعها» ما ورد فى بعض الأحاديث من أن العبد إذا قال: الله، يشهد له كل من يسمعه، ذكره ابن زكرى والعهدة عليه، «خامسها» تواطؤ السادات للصوفية على ذكره والاستهتار به - أى الولوع به - سلفهم وخلفهم، وهم من الصديقين. وقد قالوا : إذا اختلفت أقاويل العلماء فعليك بما قاله الصديقون منهم ، لمزيد نورهم، وكمال عرفانهم، وقربهم من الله ورسوله ، والسادات الصوفية لاخلاف عندهم فى ذكره، بل لا يصح عندهم الفتح والسير فى المقامات إلا بواسطته ، ولهم فيه تآليف وترتيبات، على حسب الأحوال والمقامات، قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالى: مادمت ملتفتا إلى ما سوى الله فلابد لك من النفى والإثبات بلا إله إلا الله، ومادمت تعتمد على رياسة العلم والجاه، فلابد لك من النفى والإثبات بلا إله إلا الله، ومادمت ترى فى الوجود سواه، فلابد من لا إله إلا الله، فإذا غبت فى الكل عن الكل استوحشت من نفى لا إله، ووقفت على إثبات إلا الله، (**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**)(1).

وقال العارف الشعرانى فى المنن: ومما من الله به على: مواظبتى - أول دخولى لطريق

---

(1) كلام الشيخ أحمد الغزالى - رحمه الله - فى هذا المقام مغالطة صريحة، إذ فيه نسبة النقص لأهل الكمال - عليهم الصلاة والسلام - فيقول خاتمهم وسيدهم ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله»، وكلام الشيخ شامل الأمر بتركه، ولم يعرف عن أهل التحقيق من الصوفية ذلك.

ثم إن الاستدلال على جواز الذكر بالاسم المفرد بقوله تعالى: ﴿**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**﴾ غير صحيح، وليس فيه طلب الذكر به على الإطلاق، بل مقيد بما جاءت به الآية من انه جواب على سؤال أهل الشرك إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)**﴾ [الأنعام: ٩١].

القوم – على ذكر الله بلفظ الجلالة الله، أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة على عدد الأنفاس الواقعة في الليل والنهار، ليكون حكمي – إن شاء الله – حكم من لم يغفل عن الله نفساً واحداً ، ثم قال : قال الشيخ محيي الدين : وينبغي لمن يذكر الله بلفظ الجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كان تلفظه بها كتلفظه بكلمة : هلا . فلا يُفتح عليه بشئ، لأنه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم ثم قال : وصورة الذكر بالجلالة أن يقول : الله . الله. حتى ينقطع نفسه . اهـ.

وذكر أبو علي الدقاق أن رجلا كان يقول : الله الله. دائماً، فأصاب حجر رأسه فشجه فقطر منه الدم وكتب على الأرض : الله الله، وبقى النوري في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول : الله . الله. الله.، فأعلم الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظة عليه أوقاته أم لا؟ فقالوا له : إنه يصلي الفرائض ، فقال: الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا، وسئل الشبلي : لم تقول : الله . الله، ولا تقول : لا إله إلا الله؟ فقال : لا أبغي له ضدا، فقال السائل : أريد أعلى من هذا، فقال أخشى أن أوخذ بين وحشية النفي الإثبات فقال أريد أعلى من هذا فقال : ﴿**قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ فزعق السائق ومات، فتعلق أولياؤه بالشبلي فقال لهم : روح دعيت فسمعت فلبت وأجابت فما ذنبي؟ فقال الخليفة : خلوا سبيله، لا ذنب له . قال العارف أبو الوفاء: وتعليل هذا المذهب أن نفي الشئ إنما يحتاج إليه عند حضور ذلك الشئ بالبال فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك، والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله إلا الله فيكفيه أن يقول : الله. الله. اهـ، وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: ليكن ذكرك : الله . الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة فبساطه العلم ، وثمرته النور، وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره ، واختياره على سائر الأذكار لتضمنه لجميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق، فإنه يأتي في : الله ، وفي : هو ، مالا يأتي في غيرهما من الأذكار . ا هـ .

قال الشيخ زروق : ولهذا اختاره المشايخ ورجحوه على سائر الأذكار، وجعلوا له خلوات، ووصلوا به إلى أعلى المقامات والولايات، وإن كان منهم من اختار في الابتداء لا إله إلا الله وفي الانتهاء الله . الله . ا. هـ .

وقال ابن حجر فى الفتاوى الحديثية: ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً بلسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك، فمن هو فى ابتداء أمره ومقاساة شهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها يحتاج إلى النفى والإثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر، فإذا استولى عليه فالأولى له لزوم الإثبات أعنى: الله . الله . ا هـ باختصار .

وقال الجنيد : ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه ، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته . ا هـ . قال الشيخ محيى الدين: ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف فليتخذ خلوة وليترك سائر الأذكار(١) والأوراد غيره، ولا يذكره من حيث إنه يدل على العين فقط، بل لا بد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان ، ومن له الوجود المطلق التام، فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة التى هى النور الذى يقع به الشهود والعيان، وهذا الاستحضار هو المعبر عنه بالبساط . ا هـ . وفى صلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش : الله . الله . الله ثلاث مرات ، أفيجترئ أحد أن يفوه فى ذلك بعيب ؟! أو طعن وريب ؟! كلا، وكيف؟ وأصول الشريعة لا تاباه، ولا تدل على خروجه عن ذكر الله لا لفظا ولا معنى، إلى غير هذا من نصوص أولياء الله الدالة على استحباب ذكره . قال شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسى – بعد كلام فى هذا المعنى – : ولا يخفى هذا على من له ممارسة باصطلاحهم، فيكفينا التسليم والتصديق لما قصرت عنه مداركنا من مذاهبهم ، « فاشدد يديك على تسليم ما فعلوا، وظن خيراً ولا تعبأ بمن عذلا » . إذ التصديق بطريقهم ولاية، والاعتراض عليهم جناية، قال: وليس فى كلام عز الدين تصريح بإنكار أو بغيره بل غاية ما قال : إنه لم ينقل عن السلف، وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهى مشروعة، إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم، فلا ينبغى الإنكار على من يذكر هذا الاسم الشريف، ولا التوقف فيه ا هـ. كلام سيدى عبد القادر الفاسى وهو وحده كاف فى رد كلام ابن عبد السلام، والله تعالى أعلم ا هـ. قلت: ثبت عن بلال رضى الله عنه الذكر بالاسم المفرد، قال أبو داود: قرئ على سلمة بن شبيب وأنا

---

(١) قول الشيخ محيى الدين – رحمه الله – « وليترك سائر الأذكار » إيغال فى البعد عن السنن والآثار، ونهى عن تتبع سنة النبى المختار – صلى الله عليه وآله وسلم – وعفى عنا وعنه وعن جميع المسلمين العزيز الغفار.

شاهد، قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عطاء الخراسانى قال: كنت عند سعيد بن المسيب فذكر بلالا فقال: كان شحيحًا على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله. الله. وذكر بقية الحديث فى شراء أبى بكر رضى الله عنه بلالا وإعتاقه، وثبت عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كان أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر رضى الله عنه فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوهم أدراع الحديد وأصهروهم فى الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه. فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة، وهو يقول: أحد. أحد. وهذا خبر مشهور ورد فى كتب السيرة بطرق، فكيف يقال بعد هذا: إن الذكر بالاسم المفرد لم ينقل عن السلف؟!! على أن الأوامر التى حضت على ذكر الله فى الكتاب والسنة - وهى كثيرة - تشمل الذكر بالاسم المفرد لا محالة، فاشتراط وروده بعينه - رغم شمول مطلق الأوامر له - تعسف يأباه الإنصاف، ونريد أن نقول - زيادة على ما تقدم -: إن الشارع أذن فى إنشاء أذكار من بنات أفكار الذاكر، بل حض عليها. فروى الطبرانى فى الأوسط بسند جيد كما قال الحافظ الهيثمى عن أنس أن رسول الله ﷺ مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته ويقول: يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لاتوارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا بحر ما فى قعره، ولا جبل ما فى وعره، اجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم القاك فيه، فلما فرغ من صلاته دعاه النبى ﷺ، ووهب له ذهبا أهدى له من بعض المعادن، وقال «وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل» فتأمل هذا الحديث تجده ياذن فى إنشاء أذكار وأدعية من غير تقيد بالوارد، بل يمكننا أن نقول: كل ما أنشأه الصوفية من أذكار وأوراد وأدعية فهو من قبيل الوارد لدخوله فى عموم هذا الحديث، وبالله التوفيق.

موقف العلماء من الصوفية

علمت - فيما سبق أول الكتاب - أن الدين ينبنى على ثلاثة أركان: الإيمان، الإسلام، الإحسان، وأن التصوف هو مقام الإحسان، وأن المقامات والأحوال التى يتكلم

فيها الصوفية كلها واردة فى الكتاب أو السنة بالعبارة الصريحة، أو الإشارة الواضحة، وأن الصحابة – خصوصاً منهم أهل الصفة – كانوا متخلقين بأخلاق الصوفية، وكذلك التابعون وتابعوهم وهلم جراً، وعلى هذا فلا عجب أن يكون موقف علماء المسلمين من الصوفية موقف التأييد والتعاضد والمساندة، وكان الأئمة أهل الفقه والكلام، وأكابر أعلام الإسلام – كما يقول الحافظ السيوطى – يصحبون أهل الطريق، ويحضرون مجالس وعظهم ويبالغون فى الثناء عليهم، وينقلون عباراتهم وإشاراتهم فى دروسهم وتصانيفهم.

وإليك بعض الأدلة على ذلك:

١ – نقل الإمام زروق فى قواعده، والتتائى عن الإمام مالك أنه قال: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق أ هـ فانظر كيف اعتبر الإمام مالك رضى الله عنه التصوف والفقه جزءين متلازمين لا يتم أحدهما إلا بالآخر.

٢ – قال الإمام الشافعى رضى الله عنه: صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفى رواية: سوى ثلاث كلمات، قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وقولهم: العدم عصمة، نقله الحافظ السيوطى وغيره، والإمام الشافعى يعده الصوفية من الأبدال.

٣ – روى الحاكم والخطيب بسند صحيح عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: قال لى أحمد بن حنبل: يبلغنى أن الحارث هذا – يعنى المحاسبى – يكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستنى فى مكان أسمع كلامه، ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدى الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم أخذ الحارث فى الكلام، وكأن على رؤسهم الطير، فمنهم من يبكى، ومنهم من يخر، ومنهم من يزعق، وهو فى كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غشى عليه، فلما تفرقوا قال أحمد: ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء ولا سمعت فى علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم أ هـ.

قال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب: إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره

عن مقامهم، فإنه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه ألا يوفيه حقه ا هـ.

وقال الحافظ الخطيب أيضًا في تاريخ بغداد: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيرى أنبأنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادى يحكى عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ماتقول فيها يا صوفي؟ قلت: كفى بهذا القول من الإمام أحمد ردًا على مقلديه كابن تيمية وأذنابه الذين ينكرون على الصوفية، ويرمونهم بالكفر والإلحاد، هذا وأما ما اشتهر بين كثير من الناس أن الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه عن أشياء في الصلاة والزكاة، فليس بصحيح، لأن الإمامين لم يدركا زمن شيبان بل كانا بعده كما في المقاصد الحسنة للحافظ السخاوى.

٤ - كان أبو العباس بن سريج - أحد أئمة الشافعية - يحضر مجلس الجنيد ويسمع كلامه، ويقول: أشهد أن لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل، وروى القشيرى في الرسالة والخطيب في تاريخ بغداد من طريق أبي الحسين على بن إبراهيم الحداد قال: حضرت مجلس أبي العباس بن سريج فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

٥ - ذو النون المصرى أحد أئمة الصوفية وعظمائهم، قال الحافظ أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر: كان عالمًا فصيحًا حكيمًا أصله من النوبة، وقال الحافظ مسلمة بن قاسم: كان رجلا صالحًا زاهدًا عالمًا ورعًا متفننًا في العلوم واحدًا في عصره، ولم يسلم من نقد الجهلة واعتراضاتهم، ولهذا قال الحافظ الذهبي في الميزان: كان - ذو النون - ممن امتحن وأوذى لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه، كان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديق، قال السلمي: لما مات أظلت الطيور جنازته. أ هـ. ومثله في لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهذه الشهادة من هذين الحافظين الكبيرين تدمغ أعداء الصوفية - خصوصًا الحانقين - بالجهل.

٦ - ذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية عن ابن السمعاني أنه روى بسنده أن أبا

القاسم القشيرى - صاحب الرسالة القشيرية - حج سنة من السنين، وقد حج فى تلك السنة أربعمائة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصى الأرض، فأرادوا أن يتكلم واحد منهم فى حرم الله، فاتفق الكل على الأستاذ أبى القاسم، فتكلم هو باتفاق منهم.

٧ - ذكر التاج السبكى أيضاً أن الأئمة كانوا يحضرون مجالس أبى نصر عبد الرحيم بن أبى القاسم القشيرى، وهو صوفى كأبيه، وممن كان يحضر دروسه فى الكلام الإمام أبو إسحاق الشيرازى فقيه العراق، وشيخ الشافعية على الإطلاق، قال السبكى أيضاً: ومما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين - وهو عصريه - نقل عنه فى كتاب الوصية من النهاية وهذا فخار لا يعدله شىء ا هـ.

٨ - قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله - وهو من فقهاء المالكية ومشايخ الصوفية - فى كتاب «لطائف المنن»: سمعت الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد - وهو إمام مجتهد - يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبى الحسن الشاذلى، وقال أيضاً وأخبرنى الشيخ مكين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين على بن وهب القشيرى - هو والدتقى الدين ابن دقيق العيد - والشيخ مجد الدين الإخميمى والشيخ محيى الدين ابن سراقة والشيخ أبو الحسن الشاذلى، ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهم يتكلمون،والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم، فقالوا: يا سيدى نريد أن نسمع كلامك، فقال أنتم سادات الوقت وكبراؤه، وقد تكلمتم. فقالوا: لابد أن نسمع منك، فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلم بالأسرار العجيبة، والعلوم الجليلة، فقال الشيخ عز الدين - وقدخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه -: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله. ا هـ قلت: كان اجتماع هؤلاء الأعلام فى المنصورة سنة ٦٤٨ هجرية، لحضور المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبيين، وقد انتهت بانكسارهم وأسر لويس التاسع ملك فرنسا، ويؤخذ من هذه القصة احترام العلماء - خصوصاً سلطان العلماء وتلميذه ابن دقيق العيد - للصوفية فى شخص أبى الحسن الشاذلى زعيم الطائفة ومجدد رسومها، كما يؤخذ منها اشتراك الصوفية فى الواجبات الدينية كالجهاد وغيره مما يعود على المجتمع الإسلامى بالخير العميم، وإذا لاحظنا أن الشاذلى حضر تلك المعركة بعد أن كف بصره وجاء

يسعى إليها من الإسكندرية، علمنا ما كان يأخذ به الصوفية أنفسهم من التمسك بعزائم الأمور، ومشاق الأشياء، ولا غرو فى ذلك فهم أهل عزيمة صادقة، وهمة خارقة، وحزم لا يلين، وجد فى العمل والدأب متين، وكأنما عناهم الشاعر بقوله :

على قـــدر أهل العـــزم تأتى العـــزائم

وتـأتـى عـلـى قـــــدر الـكـرام المـكـارم

وتعظم فى عـين الصـغيـر صـغـارها

وتصـــغـــر فى عـــين العظيم العظائم

٩ - كان العلماء الأجلاء يحضرون دروس تاج الدين ابن عطاء الله السكندرى، وكانت حلقات دروسه فى الأزهر أرحب الحلقات، يرتادها أعظم الجماعات، وممن أخذ عنه طريق الشاذلية وتخرج به فى التصوف : الإمام الحافظ المجتهد قاضى القضاة تقى الدين السبكى وقرأ عليه كتاب الحكم له، وقال فيه : إنه متكلم الصوفية على طريق الشاذلية، وعلى ذكر كتاب «الحكم» نقول : إن العلماء اعتنوا به قراءة وشرحا ونظما، فكان يدرس فى الأزهر إلى عهد قريب، وآخر من أقرأه شيخنا عالم مصر ومفتيها الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى رحمه الله، وكان يدرس أيضًا بجامع القرويين بفاس، وهو أكبر معهد علمى بشمال أفريقيا، بنى قبل الأزهر بخمسين سنة وحضر فيه أئمة أعلام مثل ابن خلدون والمقرى صاحب نفح الطيب، أما شروح الحكم فلا تكاد تحصى كثرة، ولقد شرحه الشيخ زروق ثلاثين شرحًا، وشرحه العلامة المحقق الشيخ الطيب بن كيران شرحًا مؤيداً بالسنة فاعقب كل حكمة بحديث يؤيد معناها، وهو شرح نفيس يقع فى مجلدين، ومن شروح الحكم شرح جدنا الإمام، الولى الكبير، والقطب الشهير أبى العباس أحمد بن عجيبه الحسنى المتوفى سنة ١٢٢٤، وهو شرح عظيم يقل نظيره بين الشروح على كثرتها، ونظم الحكم جماعة كثيرون منهم شقيقنا الأكبر الحافظ أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق، وفى دائرة المعارف الإسلامية أن الحكم ترجمت وشرحت باللغة التركية وغيرها[١].

(١) حقاً إن كتاب «الحكم» لسيدى ابن عطاء الله السكندرى - رحمه الله - عظيم القدر والمنزلة، عالى المقام والمنفعة، طبع مكتبة القاهرة - الأزهر، ومثله كتب سيدى أحمد زروق الفاسى - رحمه الله - «قواعد =

١٠ – ذكر العلامة القاضى أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج فى حاشية المرشد المعين – وهو منظومة فى التوحيد والفقه المالكى والتصوف –: أن غالب من يشار إليه من علماء الظاهر ممن له تميز وشفوف، ونبوغ فى الحفظ والإتقان إنما نال بمخالطة بعض العارفين كابن سريج بمخالطة الجنيد، والعز ابن عبد السلام بمخالطة أبى الحسن الشاذلى، والتقى بن دقيق العيد بمخالطة أبى العباس المرسى ا هـ والأدلة كثيرة جداً على أن العلماء كانوا يعتبرون التصوف من الدين، ويعدون الصوفية من الصفوة المختارين.

تم بحمد الله كتاب

الإعـــلام

بأن التصوف من شريعة الإسلام

للإمام الفاضل:

عبد الله الصديق الغمارى

إشراف:

محمد بن على بن يوسف

= التصوف» و«إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين» و«عدة المريد الصادق»، وهى مما يتأكد قراءتها لكل مريد.. والله أعلم بالصواب.

فهرس الكتاب